رواية
علاقات مشبوهة
بقلم
إيمان عبد الواحد

علاقات مشبوهة

بقلم /

إيمان عبد الواحد

الفصل الأول

جلست عايدة في المقهى بمطار القاهرة و هي تحتسي قدحاً من القهوة و تأكل بعض البسكويت في استرخاء ؛ أنهت لتوها وردية طويلة من العمل و لا ترغب في العودة إلى البيت فليس في بيتها ما يجعلها ترغب في العودة إليه ؛ لا تملك في حياتها سوى عملها كضابط في شرطة المطار و الكثير من وقت الفراغ و كماً هائلاً من الوحدة و الملل و لا تدري إلى متى من الممكن أن تستمر حياتها على هذا المنوال .

كان سليم يحمل حقيبته الصغيرة من نوع الهاند باج و قد عاد لتوه من رحلة طويلة من ايطاليا إلى القاهرة استغرقت بضع ساعات ؛ كان يتوق للعودة إلى بيته ليرتمي في فراشه و يحظى بالكثير من ساعات النوم لكنه لم يفعل .. ذهب إلى المقهى ووقف للحظة يتأمل عايدة في زي الشرطة الذي لا يدري كيف

يجعلها تبدو مثيرة لهذا الحد قبل أن يقرر أن يتحرش بها كالعادة .

اقترب سليم من الطاولة و ألقى حقيبته على أحد المقاعد قبل أن يجلس على المقعد المقابل لها و هو يلتقط قطعة من البسكويت الموضوع أمامها و هو يهتف :

- هل هذا هو غداءك ؟ .. لا أصدق .. هل هي وصفة سحرية تجعلك تحافظين على قوامك بكل هذه الرشاقة ؟ .. لأنني لو كنت مكانك و انتهيت من العمل لتوي لكنت حصلت لنفسي على وجبة شهية في أفخر مطعم و على حساب دون جوان مثلي .

فكرت عايدة في أنها بالفعل كانت تنتظر أن تراه الآن فهو الشيء الوحيد في حياتها الذي يكسر حاجز الملل و مع هذا تظاهرت بالضيق و هي تهتف :

- لا أتذكر أنني قد سمحت لك بالجلوس هنا يا كابتن .. هلا بحثت لنفسك عن طاولة أخرى لو سمحت ؟

استرخى سليم في مقعده و هو يهتف مبتسماً :

- لا .. هذه هي الطاولة الوحيدة التي تروق لي فأنا أحب الصحبة .. و صحبتك أنتِ بالذات تجذبني بشدة .. إلا إذا ذهبتِ معي إلى المطعم الذي تختارينه الآن و لا مانع لديّ من أن يكون في نادي ضباط الشرطة .

لا تستطيع عايدة أن تنكر أن سليم جذاب جداً و أن بذته الرسمية تليق به أكثر من أي شخص آخر تعرفت عليه في المطار منذ عملت به لكنه دون جوان كما يقول عن نفسه تماماً و شاب مستهتر مثله لا يمكن أن تسمح لعواطفها بأن تنساق خلفه لأنها بالنسبة إليه مجرد مغامرة

جديدة كالعديد من المغامرات في حياته و التي تبدو كسيلٍ لا ينقطع .

نهضت عايدة و وضعت القبعة على رأسها و تركت ثمن القهوة و البسكويت الذي لم تأكله على الطاولة و هي تهتف :

- ما دامت الطاولة تروق لك فسأتركك لتستمتع بها كما ترغب .

تركت المقهى وعيونه تتابعها في شغف و هو يتساءل ما الذي يعجبه في هذه الفتاة و يجعله يصر على توريطها معه في علاقة من الواضح أنها لا ترغب بها حتى أنه لم يكف عن محاولة استمالتها نحوه منذ ثلاثة أشهر مضت .. قبل أن ينهض بدوره و يغادر المطار و يعود إلى شقته التي يعيش بها بمفرده منذ قرر أن يستقل عن حياة والديه .

عادت عايدة إلى شقة مصر الجديدة التي تقيم فيها مع مربيتها فحسب على الرغم من أن والديها لا زالا على قيد الحياة و ليس لهما مقر إقامة دائم آخر ؛ أو بالأحرى ليس لهما مقر إقامة دائم على الإطلاق .. والدها موظف رفيع المستوى في وزارة الخارجية و هذا يجعله يتنقل طوال الوقت من دولة إلى أخرى ليحضر الإتفاقات و الاجتماعات و جلسات العمل التي لا تنتهي و أمها وزير مفوض و هذا يجعلها دوماً في بلد و زوجها في بلدٍ آخر تماماً حتى أن عايدة تتعجب أحياناً من أنهما قد وجدا فرصة لإنجابها من الأساس و هي فرصة لم تتكرر كثيراً مما جعلها ابنة وحيدة و ليس لها أخوة أو أخوات .

لم تكن عايدة تحب عملها في شرطة المطار و كانت عند تخرجها ترغب في العمل في المباحث الجنائية لكن وجودها

في المطار يجعل لديها الفرصة لترَ والديها أكثر مما سبق و كان هذا يبدو أحياناً كنكتة سمجة و لا طعم لها ..

المربية هي أقرب شخص لها في الواقع و هي الوحيدة التي تستطيع عايدة أن تتكلم معها من وقتٍ لآخر على الرغم من أنها لم تتربى معها بالفعل فقد عاشت معظم حياتها في مدارس داخلية قبل أن تلتحق بكلية الشرطة و المربية كانت هي الأم الوحيدة التي تظل في انتظارها لترعاها في الأجازات و هي لم تكن كثيرة للأسف .

أصرت المربية على أن تأكل عايدة طعاماً شهياً قبل أن تدخل لفراشها و تنام ؛ تعود إلى البيت في العادة في الصباح لأنها تعمل في وردية الليل طوال الوقت لذا تنام لما بعد الظهيرة قبل أن تستيقظ و تستعد للذهاب لعملها من جديد ..

لا شك في أن حياتها كانت رتيبة كثيراً و مملة و ابتهلت عايدة حتى تجد شيئاً جديداً ينقذها من هذه الوحدة .

في إجازتها الأسبوعية تذهب عايدة إلى نادي ضباط الشرطة ؛ تلتقي هناك مع زميلاتها في الدفعة أو الزميلات اللاتي تخرجن في دفعات سابقة ؛ تتحدثن طوال الوقت عن العمل الرتيب الذي تكلفت به كل واحدة منهن و عن شعورهن بأن الجهاز لا يأخذهن على محمل الجد ولا يسند لهن أعمالاً خطيرة أو حساسة و كان هذا محبطاً جداً و مخيباً لآمالهن ..

عايدة نفسها كانت ترغب في الحصول على عمل به بعض الإثارة مع أنها لا تنكر أن العمل في شرطة المطار مهم جداً و حساس خاصةً في دولة مستهدفة و معرضة لتسلل عناصر هدامة

و مغرضة طوال الوقت و هي رغم أنها لم تكن سعيدة بعملها لكنها كانت مدركة لأهميته .

ذهبت عايدة إلى المرآب لتستقل سيارتها عندما اقترب منها شاب طويل مفتول العضلات يرتدي بذة غالية الثمن ؛ بدا لها كضابط شرطة من مشيته العسكرية لكنه لم يكن يرتدي زي ضباط الشرطة و لا يمكنها تخمين مكان عمله أو رتبته .

شعرت بالحيرة عندما مر الرجل بجوارها بسرعة و ألقى ورقة داخل حقيبتها بخفة يد قبل أن يركب سيارته و يبتعد بها ؛ جلست عايدة داخل سيارتها قبل أن تلتقط الورقة المطوية و تفتحها ثم قطبت جبينها عندما قرأت بها :

- غداً في التاسعة و نصف .. مبنى المخابرات العامة .. احرقي الورقة و لا تمزقيها .

قادت عايدة سيارتها إلى البيت و هي تشعر بالحيرة ؛ لا تفهم لما يتم استدعاءها للمخابرات العامة بهذه الطريقة المريبة و من الذي يرغب في مقابلتها بالضبط ؛ لم يكن بالورقة أية تفاصيل بخلاف الموعد المحدد حتى أنها لم تكن واثقة مما إذا كان عليها أن تذهب بزيها الرسمي أم بثياب مدنية لكنها في النهاية قررت أنه ما دام الاستدعاء لم يتم بشكل رسمي أو تقليدي فستكون الثياب المدنية مناسبة أكثر حتى لا تلفت النظر إليها .

في الموعد المحدد كانت عايدة تقف بسيارتها أمام مبنى المخابرات العامة ؛ ما إن أظهرت بطاقة هويتها حتى اقترب

منها نفس الشاب بثيابه المدنية و طلب منها برفق مغادرة السيارة مع ترك المفاتيح بها و بدلاً من أن يدخل معها إلى المبنى أشار إلى سيارة متوقفة على بعد خطوات منها فاقترب بها سائقها منهما قبل أن يركبها الشاب و يطلب منها الركوب .

أطاعته عايدة في صمت ؛ لديها الكثير من التساؤلات لكنها كانت تعرف أنها لن تجد لها أية إجابة لدى هذا الشاب فكل مأموريته هي أن يأخذها للمكان المحدد فحسب حتى أنه توقف أسفل بناية صغيرة عليها لافتة تشير إلى وجود شركة استيراد و تصدير و طلب منها الذهاب إلى الشركة فغادرت السيارة و أطاعته بلا تردد .

ذهبت عايدة إلى الشركة و دخلت إليها ؛ كانت شقة صغيرة و ليس في الردهة

سوى مكتب واحد تجلس عليه فتاة ما إن رأتها حتى وقفت و ابتسمت و أشارت لها إلى باب جانبي في آخر رواق سارت به عايدة قبل أن تطرق الباب ثم دخلت .

في المكتب البسيط الأثاث لم يكن هناك سوى رجل في منتصف العقد الرابع من عمره ؛ وسيم ؛ طويل القامة ؛ ملامحه الجامدة تنم عن شخصية قوية و غامضة نهض لاستقبالها و صافحها و هو يهتف :

- أهلاً يا سيادة الملازم أول .. من الجيد أنكِ تخليتِ عن زي الشرطة رغم أن الاستدعاء لم يوضح هذه النقطة .. هذه أول مرة نلتقي .. مجدي مراد .. و سعيد بتشريفك لمكتبي .

صافحته عايدة و هي تهتف :

- أول مرة نلتقي بالفعل لكنني رأيتك لثلاث مرات خلال الأسبوع الماضي .. آخرها كان بالأمس في نادي ضباط الشرطة .. كنت تجلس على بعد طاولتين على يمين طاولتي و تناولت قدحاً من القهوة المزدوجة و قرص اسبرين و أجريت مكالمة تليفون و انصرفت قبل خروجي من المقهى بخمس دقائق .

رفع مجدي حاجبه قبل أن يهتف في إعجاب :

- رائع .. من الواضح أن لديكِ قوة ملاحظة ملفتة للنظر يا سيادة الملازم أول .. هذه موهبة مفيدة جداً في مجال عملك بشرطة المطار كما أنها مطلوبة في عملنا عموماً و في كل المجالات .. دعينا نشرب القهوة أولاً قبل أن أشرح لكِ سبب وجودك هنا .

ارتشفت عايدة القهوة ببطء و هي تفكر فيما يمكن أن يكون خلف هذا الاستدعاء الغريب ؛ إذا كانت موضوعة تحت المراقبة فما الذي يجعل ضابطاً يفوقها رتبة يتولى مراقبتها بنفسه ؟ .. المسألة غامضة و محيرة لكنها ستفهم أبعاد الموقف ما إن يتحدث مجدي و الذي بدا مسترخياً خلف مكتبه و هو يشرب القهوة في هدوء و كأنما أمامه وقتاً طويلاً قبل أن يبدأ في الحديث الذي تحترق فضولاً حتى تسمعه .

هتف مجدي فجأة :

- ملفك في كلية الشرطة يقول بأنكِ مشروع ضابط كفء كما أن سجلك الوظيفي ممتاز .. عملتِ في شرطة المطار لثلاثة أشهر فحسب لكن رؤساءك أشادوا بأداءك و قالوا بأنك مثال للجدية و الانضباط .. و هذا

يجعلك مرشحة مثالية للعمل معنا في المهمة التي سأشرحها لكِ بالتفصيل .

هتفت عايدة في حيرة :

- معكم ؟ .. ما معنى معكم ؟ .. هل تقصد أنني سأنتقل إلى جهاز المخابرات العامة و لم يمر على تخرجي سوى بضعة أشهر ؟ .. سيادة المقدم لو سمحت .. كلانا يعلم أن هذا مستحيل .

ابتسم مجدي و هتف :

- و من قال أنني مقدم ؟ .. لم تسأليني عن رتبتي و لم أخبرك عنها .

وضعت عايدة قدح القهوة من يدها و هي تهتف :

- مجرد استنتاج .. الرتبة المناسبة لسنك لا تزيد عن رائد لكنني توقعت حصولك على ترقية استثنائية .. عادةً لا ينضم للأجهزة الأمنية الحساسة سوى

الكفاءات و كونك أحدهم أوحى إليّ بـ .. هل أنا مخطئة ؟

اتسعت ابتسامة مجدي و هو يهتف :

- في الواقع لا .. استنتاجك في محله تماماً يا عايدة .. هل تسمحين لي باستخدام اسمك مجرداً عن الألقاب فنحن في العادة لا نستخدم رتبنا هنا .

مطت شفتيها و هتفت :

- لا مشكلة .. لكنك لم تشرح لي بعد سبب وجودي هنا و معكم المبهمة تلك ماذا قصدت بها بالضبط ؟

أخرج مجدي صور ضوئية من درج مكتبه و وضع أحدها على سطح المكتب أمامها و هو يهتف :

- هذا هو سبب وجودك هنا يا عايدة .. سليم الساعاتي .

حدقت عايدة في صورة سليم قبل أن تلتقطها من فوق سطح المكتب و تتأملها ثم تنهدت في حرارة .

الفصل الثاني

ظلت عايدة تتأمل صورة سليم للحظات قبل أن تعيدها إلى سطح المكتب و هي تهتف في توتر :

- لا أفهم بالضبط .. ما الصلة بينكم و بين سليم ؟ .. و ما علاقة هذا بي من الأساس ؟

كان مجدي يتأمل عايدة و كأنه يريد سبر أغوارها ليعرف ما الذي تفكر فيه بالضبط قبل أن يهتف :

- تعرفين من يكون ؛ أليس كذلك ؟ .. تعرفينه جيداً يا عايدة أم ....

قاطعته عايدة هاتفة في ضيق :

- مجرد معرفة سطحية .. سليم طيار و يعمل في شركة مصر للطيران و أراه في المطار من وقتٍ لآخر و هذا كل شيء ..

نقر مجدي سطح المكتب بأظافره و هو يهتف :

- كل شيء بالنسبة لمن يا عايدة ؟ .. له أم لكِ ؟ .. لأن تقارير المراقبة تقول أنه يتودد لكِ منذ التحقت بالعمل في المطار و أنه ربما .. ربما يحاول توريطك في علاقة مشبوهة .

قطبت عايدة جبينها قبل أن تهتف في قلق :

- علاقة مشبوهة من أي نوع ؟ .. حسب علمي سليم شاب هوائي .. علاقاته و نزواته و غرامياته حديث العاملين في المطار و في شركته و هذا ليس سراً و لا يخفى على أحد .. كونه يتودد لي أو يتحرش بي أو يرغب في ضمي لقائمة مغامراته مسألة شخصية جداً و لا تخص الأمن العام و لا تبرر تقارير المراقبة .. كما أنني لا أفهم .. مراقبة من بالضبط ؟ .. أنا أم هو ؟ .. هل

تتحرون عن الضباط قبل التحاقهم بالخدمة معكم بهذه الطريقة ؟ .. لأن حياتي الشخصية خط أحمر و لا أسمح لأحد بالتدخل فيها .

كانت تشعر بالتوتر و كان هذا واضحاً جداً خاصة عندما بدأت نبرة صوتها في الارتفاع بعض الشيء ؛ و كان مجدي يريد أن يستكشف سبب توترها بالضبط .. سليم أم الطريقة الغامضة التي استدعاها بها و المهمة التي لم تكتشف أبعادها بعد ؟ ..

أخرج مجدي سيجارة من علبة موضوعة أمامه قبل أن يهتف :

- هل لديكِ مانع في أن أدخن ؟ .. عادة سيئة لكنها أصبحت ضرورة لا يمكنني الاستغناء عنها .

التقطت السيجارة من يده و القداحة من فوق المكتب و أشعلتها قبل أن تعيد له القداحة و هي تهتف :

- الآن لا مانع لديّ .. أم أن تقاريركم لم تقل لكم أنني أدخن أحياناً في غرفة نومي ؟

أشعل مجدي سيجارة لنفسه و هو يهمس :

- مراقبتك في غرفة نومك مهمة ممتعة لا مانع لديّ من أن أؤديها بنفسي لكنها ليست مطلوبة الآن للأسف .. نحن لا نراقبك يا عايدة و إذا كنتِ قد لاحظتِ وجودي في أماكن تترددين عليها فهذا لأنني كنت أرغب في أن أعرفك عن قرب قبل هذا اللقاء .

ازداد شعورها بالتوتر و هي تهتف :

- هل معنى هذا أنكم تراقبون سليم ؟ .. لما ؟

ألقى مجدي صورة ضوئية أخرى على سطح المكتب أمامها و هو يهتف :

- بسبب هذه المرأة بالتحديد ؟

التقطت عايدة الصورة و تأملتها في إمعان ؛ لا تدري لما شعرت بالضيق و هي ترى سليم جالساً مع تلك المرأة على نفس الطاولة و كأنها تغار من رؤيته مع امرأة أخرى .. في كل الأحوال سليم لا أحد بالنسبة لها و هي لا تكن أية مشاعر نحوه كما أنه حر في علاقاته ولا شأن لها بها ثم إنها تعرف أنه متعدد العلاقات و أن علاقته بأية امرأة مسألة اعتيادية بالنسبة له و هو نفسه لا يحاول أن ينكر هذا أو يخفيه .. لكن ما هو المميز في هذه المرأة حتى يجعله هدفاً لجهاز حساس مثل المخابرات العامة ؟

تأملت عايدة المرأة بدقة ؛ شابة شقراء فاتنة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها بأي حال من الأحوال ؛ ثيابها المكشوفة غالية الثمن و تنتمي لبيت أزياء مشهور كما أن المرأة أجنبية لكن عايدة لم تكن تستطيع تحديد جنسيتها على وجه الدقة لكن بدا لها أنها قد تعود إلى إحدى الدول الاسكندنافية .. همست عايدة :

- و من هي ؟

هتف مجدي ببطء :

- يعرفها سليم باسم هيلين لانجلي .. أمريكية من أصل سويدي ؛ تمتلك و تدير شركة سياحة معروفة في ايطاليا و تقيم هناك منذ ثلاث سنوات تقريباً .

ابتلعت عايدة ريقها بصعوبة قبل أن تهمس :

- و ديانتها ؟ .. هل هي يهودية ؟

ابتسم مجدي و هتف :

- اسرائيلية .. اسمها الحقيقي راشيل جدعون .. ضابط في الموساد الاسرائيلي و نشاطها واسع في ايطاليا و يمتد إلى غرب أوروبا بأكمله .

وضعت عايدة الصورة على سطح المكتب و أطفأت سيجارتها بأصابع ترتجف قبل أن تهتف بصوت مخنوق :

- هل تعني أن سليم جاسوس ؟

صمت مجدي للحظة و هو يتأمل نظرة الألم و الصدمة في عينيها قبل أن يهتف في حسم :

- ليس بالضرورة .. رصدنا علاقته مع راشيل منذ ستة أشهر تقريباً .. يقابلها في كل رحلاته إلى ايطاليا و يقضي بعض الوقت معها في الملاهي الليلية و أحياناً في شقتها .. لا شك في أن بينهما علاقة جنسية و أن راشيل قد

اختارته هدفاً لها لتقوم بتجنيده .. مدى نجاحها في هذه المهمة مسألة لا يمكننا القطع بها الآن فليس لدينا أدلة قاطعة عليها و لكن ...

أشعل مجدي سيجارة أخرى قبل أن يردف :

- ماذا تعرفين عن سليم بالضبط ؟ .. أقصد عن مركزه الاجتماعي و علاقاته الأسرية و ما إلى هذا القبيل .

زفرت عايدة في حرارة و هتفت :

- كما قلت لك .. بخلاف عمله و سمعته كزير نساء .. لا شيء على الإطلاق .

هز مجدي رأسه في تفهم قبل أن يردف :

- سليم الساعاتي هو ابن الوزيرة هدى سليم و والده اللواء / حمدي الساعاتي أحد قادة القوات الجوية كما أن عمه

سعيد الساعاتي مستشار لوزيرة التخطيط .. له خال يعمل في وزارة السياحة بدرجة مدير عام و عمة تعمل كوكيل أول في وزارة التربية و التعليم و خالته هند سليم عضو بارز في البرلمان .. لديه عضوية في نادي الجزيرة و عدد كبير جداً من الأصدقاء معظمهم من أسر كبيرة و ذويهم في مناصب حساسة .

شحب وجه عايدة بشدة قبل أن تهتف في استنكار :

- هل تعني أن شخص يستطيع أن يحصل على معلومات بهذه الحساسية و الخطورة من الممكن أن يكون بالفعل مجنداً لحساب جهة أجنبية ؟ .. تقول أنكم قد اكتشفتم علاقته بتلك الأفعى منذ ستة أشهر كاملة فلماذا لم تتعاملوا مع الأمر فوراً و بحسم ؟

ابتسم مجدي و هتف :

- ليست تحت يدنا أدلة كافية لإدانته حتى أننا لم نتأكد من إدانته بعد .

هتفت عايدة في حدة :

- درء المفاسد أهم من جلب المنافع يا سيادة المقدم ؛ و المخاطرة بأن تكون أدق أسرار الدولة مكشوفة أمام أعداءها حماقة ليس لها ما يبررها حتى سيادة القانون و عدم انتهاك الحقوق الدستورية لأي مواطن .. كما أن شخص مثل سليم ليس مجرد مواطن بل هو قنبلة شديدة الخطورة و إذا لم تستطع نزع الفتيل في الوقت المناسب فعليك تفجيرها بعيداً عن مرمانا .

نفث مجدي دخان سيجارته و قد ظهر في عينيه نظرة لاهية و كأنه يستمتع برؤية الغضب على وجهها قبل أن يهتف :

- و ماذا تقترحين يا عايدة ؟ .. تصفيته ؟

للحظة لمح مجدي في عيونها نظرة ألم ؛ بدا له أن فكرة موت سليم مؤلمة كثيراً بالنسبة لها و مع هذا هتفت في حسم :

- و بدون تأخير .. و إذا كانت هذه هي المهمة التي ستكلفني بها فاطمئن .. أستطيع إنجازها بأسرع مما تتخيل .

للحظة .. فقط للحظة لمعت الدموع في عيونها .. لم تكن تظن أن شاباً مثل سليم قد يكون له مكان في حياتها لكن أن تنتهِ حياته على يديها كان هذا هو آخر ما يمكن أن تتخيله .. مع هذا كانت صادقة في قناعتها بأن عنصر هدام بهذه الخطورة لا يصلح معه سوى استئصاله و بدون تردد لأن المخاطرة باستمرار وجوده قد تدمر شعباً بأكمله و هذا ما لا يمكن السماح به أبداً .

أطفأ مجدي بقايا السيجارة و هو يهتف :

- نحن ضباط شرطة يا عايدة .. مهمتنا حفظ الأمن و النظام معاً .. لذا لا يمكننا تحقيق الأمن على حساب القانون .. القانون أولاً لأن هذا هو الضمان الوحيد لاستمرار العدالة .. مهمتك يا عايدة ليست تصفية سليم .. بل الحصول على دليل قاطع يثبت حقيقة مهمة يجب أن تكون جلية و واضحة قبل أي تصرف .. هل هو خائن فعلاً أم لا ؟ .. و بعدها ...

هتفت عايدة في استنكار :

- هل أفهم من هذا أنني هنا لأن سليم يحاول أن يتودد لي ؟ .. ظننت أن مفتاح مروري للعمل معكم هو كفاءتي لا أنوثتي يا سيادة المقدم .. أنا ضابط شرطة و لست عاهرة و المهمة التي لديك لا تليق بي و لا تناسبني .. يمكنك أن تبحث عن طعم مناسب في ملفات

شرطة الآداب و اطمئن سليم نهم
و سيبتلع أي طعم تلقيه له مهما كان .

الفصل الثالث

عادت عايدة إلى البيت و دخلت إلى غرفتها مباشرةً فنزعت ثيابها و استلقت في الفراش ؛ كانت شاردة الذهن حتى أنها لم تلتفت إلى المربية التي سألتها هل تجهز لها طعام الغداء أم تنتظر لبعض الوقت لكنها لم ترد على سؤالها و لم تسمعها من الأساس .. لا يزال كلام مجدي يتردد في أذنها و هو يهتف :

- لا تسيئي الفهم يا عايدة أرجوكِ .. أنتِ هنا لأنكِ محل ثقة .. لستِ أحد أفراد الجهاز لكنكِ ضابط شرطة في الأساس و يمكنك التعامل مع الموقف بدون حساسية .. سليم يطاردك منذ ثلاثة شهور كاملة و لم يمل أو يتراجع رغم أن كل تحرياتنا عنه أثبتت أنه لا يستمر في أية علاقة أكثر من أسبوع .. أوَ ليس لهذا دلالة لديكِ ؟

هتفت عايدة في حدة :

- لأنه لا علاقة من الأساس .. سليم يطارد رغبته بي و سيظل يلهث خلفها حتى يحصل عليها .. لا تتخيل أنني قد أكون مهمة بالنسبة له أو أن لي أي وجود في حياته .. كل المسألة ...

قاطعها مجدي هاتفاً في حسم :

- سليم يستهدفك يا عايدة .. إن لم يكن كامرأة فلما أنتِ عليه بالتأكيد .. ضابط شرطة .. أب يعمل في الخارجية .. أم تعمل في سفارة مصرية .. أعمام و أخوال في مناصب حساسة و متشعبة .. باختصار .. أنتما معاً فحسب شبكة تجسس كاملة و جبارة .. صفقة هائلة يسيل عليها لعاب العدو و إذا ملكها فعلاً لا أتخيل مدى الخسارة التي ستتكبدها مصر و تداعياتها .

شحب وجه عايدة و همست :

- أتعني أن سليم يتودد لي لأنه يحاول تجنيدي ؟

نهض مجدي من خلف مكتبه و دار حول المكتب ليجلس على المقعد الذي أمامها قبل أن يميل نحوها هاتفاً :

- كما قلت من قبل .. هذا ليس مؤكداً و لا أدلة لدينا عليه لكن الأمر وارد قطعاً .. فكري معي يا عايدة .. بيننا و بين المخابرات الاسرائيلية حرب جواسيس لا تنتهي .. و العدو يخطط لضربة قاصمة لنا .. لكن .. أمامنا فرصة ذهبية لقلب المائدة عليه و إيقاعه في نفس الفخ الذي يخطط له .. سنتركه يرخي السنارة و ينتظر أن يلتقط الطعم سمكة كبيرة في حجم سليم و عندما يطمئن إلى أنه قد أمسك بالصيد و حقق ما يريد نكون نحن قد حققنا ضربتنا و بدون أن يكتشف ما الذي مررناه من تحت أنفه ..

لكن هذا كله يتوقف على تعاونك معنا يا عايدة .. فهل أنتِ مستعدة للمهمة ؟

صمتت عايدة للحظات قبل أن تهتف :

- هل هذا تكليف رسمي أم أن لي حق الاختيار ؟

نظر مجدي في عينيها و هتف :

- هذا واجب وطني يا عايدة لكنكِ أنتِ صاحبة القرار .

نهضت عايدة من الفراش و ارتدت بزتها الرسمية و ذهبت إلى المطار ؛ لا يزال أمامها أكثر من ثلاث ساعات على موعد ورديتها لكن ذهنها المشتت بعواصف الأفكار لم يعطها فرصة للراحة و لم تستطع أن تظل في البيت أكثر من هذا .

جلست في المقهى بالمطار و أمامها قدح القهوة قبل أن يظهر سليم أمامها فجأة كالعادة ؛ هذه المرة لم تشعر بالراحة لرؤيته بل على العكس ؛ كانت تحتاج لبعض الوقت حتى تفكر في المهمة التي عرضها عليها مجدي و التي لم تستطع أن تقبلها بدون أن تطلب مهلة للتفكير .. لكن من الواضح أن سليم لن يترك لها مجالاً للتفكير على الإطلاق .

جلس سليم و طلب لنفسه قدحاً من القهوة قبل أن يلتفت نحوها و يهتف مبتسماً :

- خير .. لم تطرديني كالعادة .. هل يعني هذا أنني أصبحت موضع ترحيب ؟

لا تستطيع عايدة أن تصدق أن هذا الشاب الفوضوي من الممكن أن يكون بالغ الخطورة لهذا الحد .. هو سافل و أناني و منحل لكن الخيانة شيءٌ آخر

.. شيء تتمنى لو كان بريئاً منه .. أشاحت بعيونها عنه و هتفت :

- موضع ترحيب ؟! .. ليس لهذا الحد .. يمكن القول بأنني قد تعبت من تكرار نفس الكلام في كل مرة خاصةً أنه من الواضح أنك لا تسمعه .. يمكنك أن تشرب قهوتك يا كابتن و تذهب إلى طائرتك فلا يمكن أن تترك الركاب ينتظرون .

ابتسم سليم و هتف :

- صدقي أو لا تصدقي .. ليست لديّ رحلة الآن .. موعد إقلاع طائرتي في العاشرة مساءاً أي أنه لا زال أمامي بضع ساعات .. و المفروض أن أكون الآن مسترخياً في فراشي و أغط في النوم .. لكن عيونك تطاردني و تحرم عليّ النوم ؛ و ما بيدي حيلة .

ارتشفت عايدة بعض القهوة و هي تفكر في مرارة بأنها كان من الممكن لها تصديقه لو لم تكن قد تحدثت مع مجدي و تعلم جيداً أنها مجرد سمكة يرغب سليم في اصطيادها ولأسباب أكثر حقارة مما كانت تتخيلها من قبل .. هتفت :

- أليست طريقتك في الغزل عتيقة الطراز قليلاً و مملة ؟ .. هذا لا يتناسب مع سمعتك يا كابتن و لا أريد أن أقول أنه مخيبٌ للآمال .

هتف سليم في خبث :

- آمال من ؟ .. لأنكِ حتى هذه اللحظة تتظاهرين بعدم المبالاة بي .. عموماً .. أستطيع أن أعيد الكرَّة لبضع مرات أخرى إذا كان وقتك يسمح بهذا .. فهل لديكِ وقتٌ لي يا عايدة أم أنني بالفعل خارج نطاق اهتمامك ؟

نظرت عايدة إلى ساعة يدها قبل أن تهتف :

- لنقل أنني سأمنحك فرصة أخرى من باب الفضول ليس إلا مع أنني أعرف النتيجة من الآن .. أنت تبحث عن مغامرة يا كابتن و أنا لا أحب المغامرات وهذا يجعل الوضع بيننا محسوماً و عليك أن تكف عن ملاحقتي فأنت تضيع وقتك بلا طائل .

أمسك سليم كفها و هو يهتف :

- أو عليّ أن أكف عن حياة المغامرة و أستقر في أجمل ميناء رأيته في حياتي لأنه يكفيني و لن أحتاج للبحث عن ميناء آخر أبداً ما حييت .

سحبت عايدة كفها من بين أصابعه و غادرت المقهى بسرعة ؛ كانت ترغب في صفعه بشدة لكنها لم تستطع أن تفعل ؛ تريد أن تترك الباب مفتوحاً

أمامه ليحاول من جديد ؛ فكلما ظل مشغوفاً بمطاردتها كلما أصبحت أمامها فرصة لتنفيذ المهمة التي لم يشرح لها مجدي تفاصيلها بعد لكنها كانت واثقة من أنه سيفعل و بأقصى سرعة .

في الصباح التالي عندما أنهت عايدة عملها لم تعد إلى البيت كالعادة ؛ بل ذهبت إلى نادي ضباط الشرطة و ظلت جالسة في سيارتها و لم تغادرها .. حتى أنها أشعلت سيجارة و ظلت تنفث دخانها ببطء و هي تعلم أنه لا أحد سيراها في هذه الساعة فالنادي يكاد أن يكون خالياً من الأعضاء .

فتح مجدي باب السيارة و جلس على المقعد المجاور لها و هو يهتف :

- رائع يا عايدة .. المكان مناسب جداً لنلتقي دون أن نلفت الأنظار .. اختيار موفق مع أننا لم نتفق عليه .. كما أنكِ

حسمتِ ترددك بسرعة و أتمنى أن تكوني قد وصلتِ إلى القرار الذي أنتظر سماعه منكِ .

هتفت عايدة دون أن تنظر إليه :

- سليم أكثر من متلهف على اصطيادي يا مجدي أكثر مما كان كلانا يتخيل حتى أنه قد لمح لي إلى أنه يرغب في الاستقامة و الاستقرار معي .. علينا أن نطرق الحديد و هو ساخن و نحدد الخطوة التالية بسرعة .. ما المطلوب مني بالضبط ؟

طلب منها مجدي أن تقود سيارتها إلى مقر شركة الاستيراد التي قابلها بها من قبل ؛ و جلس معها في مكتبه و هما يتحدثان عن كل التفاصيل المهمة في خطته قبل أن يطلب لها قدحاً جديداً من القهوة و يناولها إحدى سجائره و هو يهتف :

- هذه هي الخطوط العريضة فحسب يا عايدة .. التفاصيل الصغيرة سنتفق عليها أولاً بأول و ستضطرين لارتجال بعضها حسب مقتضيات الموقف .. من الآن فصاعداً ستكون اتصالاتنا محدودة جداً و من خلال بريد الكتروني مؤمن و بشفرة خاصة .. لن نتقابل مجدداً إلا إذا كانت هناك ضرورة ملحة لهذا و لن نلتقي في الشركة هنا مرة أخرى .. هل هذا مفهوم يا عايدة ؟

ذهبت عايدة إلى المطار و هي تعرف ما عليها أن تفعله بالضبط ؛ عليها أن تكون في ايطاليا بسرعة لذا يجب أن ترتب أمورها بدون تأخير و أول ما يجب أن تفعله هو أن تتقدم إلى رئيسها بطلب للحصول على إجازة ؛ و على الرغم من أن مجدي أخبرها بأن الحصول على الإجازة لن يكون صعباً لكنها كانت تتوقع بعض الممانعة من

رئيسها و الذي لدهشتها بدا و كأنه ينتظر منها أن تفاتحه في الموضوع فقد وقع بالموافقة بدون تعليق حتى أنه لم يسألها لما تحتاج لعشرة أيام كاملة و تمنى لها أجازة سعيدة و هو يطلب منها أن تعود إلى بيتها و تعتبر الإجازة سارية بمجرد توقيعه عليها .

فكرت عايدة في أن مجدي متلهف على سفرها بسرعة حتى أنه تجاوز عن سرية مأموريتها و تدخل بنفوذه ليسهل لها الحصول على الإجازة ؛ و في الصباح التالي وصل إلى بيتها جواز سفرها و عليه تأشيرة الدخول إلى ايطاليا و تذكرة السفر و طلبت عايدة من المربية أن تجهز لها حقيبتها قبل أن تغادر البيت و تذهب لشراء بعض المستلزمات من أجل السفر .

استغربت المربية من أن عايدة قررت السفر هكذا فجأة حتى أنها سألتها عن السبب ؛ فهتفت عايدة :

- الاحتفال برأس السنة الميلادية بعد أيام يا دادا و قد قررت أن أحضر حفل سفارتنا في ايطاليا مع والديّ .. أبي لديه مؤتمر هناك و أمي ستكون هناك لحضور الحفل بدورها .. لم أرهما معاً منذ عدة أشهر و أردت أن أنتهز الفرصة .

لم تكن عايدة تكذب فقد كانت تعرف أن مجدي أحبك هذه القصة حتى تكون مقنعة للجميع بما فيهم سليم و هيلين و أن والدها الآن في طريقه إلى ايطاليا بالفعل و أمها على وشك أن تلحق به بعد أن ترتب أمورها مع السفارة التي تعمل بها .

فكرت عايدة في أن رؤية والديها الآن فرصة كانت تحتاج إليها فهي تشتاق إليهما بالفعل كما أن شعورها بالوحدة هو ما جعل شخص سافل مثل سليم يطمع بها و يتخيل أنه يستطيع التأثير فيها بسهولة و مع هذا كانت تعرف أن هذه الأيام العشر قد تكون أسوأ ما سيمر بحياتها على الإطلاق و ربما يغير مستقبلها إلى الأبد .

الفصل الرابع

أطلق سليم صفيراً طويلاً و هو يتأمل عايدة في إعجاب واضح قبل أن يجلس إلى طاولتها بدون استئذان كالعادة ؛ كانت عايدة تشرب قدح القهوة المعتاد لكن بخلاف هذا لم يكن أي شيء في مظهرها كما اعتاد سليم أن يراه .. لم تكن ترتدي زي الشرطة بل ثوباً صوفياً رائع التصميم يكشف عن قوامها الرشيق و سيقانها الطويلة و معطفاً من نفس القماش له ياقة من الفراء و استبدلت بالقبعة الرسمية قبعةً من الفراء انسدل شعرها الحريري من تحتها كالوشاح و لأول مرة منذ عرفها كانت تصبغ شفاهها بالحمرة و قد زينت وجهها بلمسة خفيفة من مساحيق التجميل جعلتها تبدو جذابة للغاية ..

تنهد سليم في حرارة قبل أن يهتف :

- خلابة .. هل أنتِ ذاهبة إلى حفل تنكري أم أنكم عجلتم بعيد الشرطة ليتزامن مع

الاحتفال برأس السنة ؟ .. بصراحة .. تنكرك رائع حتى أنني كدت ألا أعرفك .. أين ذهبت البذلة الرسمية يا حضرة الضابط ؟ .. لأنها أخذت الهيبة و الوقار معها و تركت الحورية التي كنت أتوقعها بالضبط ..

حاولت عايدة أن تتجاهل الرعشة التي في قلبها و هي تذكر نفسها بأن نظرة الإعجاب في عينيه ما هي إلا كذب و خداع ؛ و همست في فتور :

- أداءك يتحسن بالمران يا كابتن .. ربما بعد عام من الآن تصبح مغازلاً ماهراً كما يشاع عنك ؛ لكنك حتى هذه اللحظة مجرد كاذب فاشل و ألاعيبك مكشوفة و لا تخيل عليّ .

ظهرت ابتسامة خبيثة على وجه سليم و هو يهتف :

- إذا كنتِ مستعدة لأن أتغزل بكِ من الآن و حتى الاحتفال برأس السنة في العام القادم فأعدك بأنني سأعرف كيف أجعلك تصدقين كل ما أقول حتى من قبل أن أنطق بحرفٍ واحد.

ارتشفت عايدة قهوتها قبل أن تهتف :

- للأسف يا كابتن ليس لديّ وقت لإضاعته معك .. طائرتي ستغادر المطار بعد قليل و لا أحب أن أفوتها .. و أنت ؟ .. ألا تنتظرك طائرة هنا أو هناك ؟

نظر سليم إلى ساعة يده قبل أن يهتف :

- للأسف لديّ رحلة بالفعل و يجب أن أتركك الآن لكنني أريد أن أعرف أولاً لأين ستذهبين ؟

نهضت عايدة و هي تهتف :

- إلى روما .. يقولون أنها تكون رائعة في هذا الوقت من العام و أنا لم أرها من قبل و أريد أن أمضي بها إجازة سعيدة و لا تنسى .. و أنت ؟

ظهرت في عيني سليم نظرة ابتهاج بدت صادقة جداً و هو يهتف :

- أنا الذي سيقود بكِ الطائرة إلى هناك .. هذه المرة يا عايدة طريقنا واحد و عليكِ أن تسيري فيه معي لأن هذا لم يعد اختيارك .

استرخت عايدة في مقعدها بالطائرة بعد أن ربطت حزام الأمان و استعدت الطائرة للإقلاع ؛ كان لا يزال كلام سليم يرن في أذنيها وهي تفكر في أن هذا قد يكون أصدق كلام قد قاله في حياته .. من الآن فصاعداً طريقهما واحد و لن تستطيع أن تسير فيه وحدها بدونه لكنها لا تعرف إلى أين من

الممكن أن يأخذهما هذا الطريق و متى سيكون عليها أن تتركه و تعود إلى حياتها القديمة ؟ .. و هل يمكن أن تعود إلى حياتها القديمة ؟ .. حتى من الآن و هي بالكاد قد خطت نحو سليم مجرد خطوة بسيطة كانت تعرف أن طريقها بلا عودة و ما يمكن أن تخسره لن تستطيع استعادته أبداً و قلبها هو البداية فهي على وشك أن تخسره فعلاً أو أنها قد خسرته بالفعل على الرغم من أنها لا تزال تكابر و لا تريد الاعتراف بهذا .

أسبلت عايدة عيونها و غفت للحظات قبل أن تشعر بالأصابع القوية التي لمست كفها في رقة متناهية ؛ تنهدت في حرارة قبل أن تفتح عيونها .. ابتسامة سليم الرائعة كانت تشرق في عينيها لكنها أسبلت عيونها مرة أخرى و هي تهمس :

- إذا كنت تجلس بين الركاب فمن الذي يقود الطائرة ؟ .. لأنني لن أحب أن تسقط بنا في البحر في هذا الصقيع .. سأموت برداً لا غرقاً و سيأكلني السمك و أنا لا أحب أن يظل قبري عائماً إلى الأزل .. أحب الاستقرار في الموت كما في الحياة و إذا كنت تنوي قتلنا بطيشك عدني بأن جثتي سيتم دفنها بطريقة لائقة .

هتف سليم مبتسماً :

- يمكنك القيادة بنفسك إذا تركتِ عنكِ هذا الكسل و ذهبتِ معي إلى قمرة القيادة الآن .. نافذتي واسعة و سيعجبك المنظر و لن تنسيه .

نهضت عايدة و هي تفكر في أن سليم يحاول أن يخطُ خطوات واسعة نحوها و أنه لن يترك هذه الفرصة .. هكذا توقع مجدي و من الواضح أن توقعاته

ستنطبق على الواقع و لكن .. هل هذا دليل على أن سليم كلب خائن يسعى لاستغلالها في الخدمات الجليلة التي يقدمها لمخابرات العدو أم أنه بالفعل مجرد شاب يحاول التأثير في فتاة تعجبه أو ربما يكون شعوره نحوها أكبر بقليل من مجرد إعجاب ؟ .. في قرارة نفسها تتمنى لو كان بريئاً و تتمنى أكثر لو كان صادقاً معها في كلامه و عواطفه لكنها تعلم أنها ربما تحلم بالمستحيل و يخدعها قلبها بأمانٍ لن تتحقق أبداً .

ألقت عايدة التحية على الطيار المساعد و الذي صافحها في هدوء قبل أن يغادر قمرة القيادة و يغلق بابها خلفه ؛ جلست عايدة و هي تهتف :

- من الواضح أنه معتاد على أن تستضيف صديقاتك هنا يا كابتن لكنني لست إحداهن و لن أكون .

جلس سليم في مقعده و راقب الطيار الآلي و المؤشرات التي أمامه و هو يهتف :

- تخمين ليس في محله يا دودي .. أستضيف من تتحدثين عنهن في العادة في غرفة نومي لكن مكان عملي مقدس و لا مجال للهو به .. كل ما هناك هو أنني سبق و طلبت منه أن يتركني مع خطيبتي على انفراد و الرجل كان لطيفاً و لم يمانع .

هتفت عايدة في ارتباك :

- خطيبتك ؟ .. هل تهذي ؟ .. ثم ما دودي هذه ؟ .. ليس مسموحاً لك بأن تناديني بهذه الطريقة .. أنت تتجاوز حدودك كثيراً يا كابتن و أنا لن أسمح لك بهذا بعد الآن .

نهضت عايدة فهب سليم واقفاً و هو يهتف :

- اسمعيني يا عايدة .. أنا أعرف سمعتي جيداً و أعرف أنكِ لا تثقين بي .. لكنني أحبك .. منذ رأيتك في المطار لأول مرة و أنا أعلم أنكِ الفتاة التي أريدها أن تشاركني حياتي لآخر لحظة في عمري .. و كل ما أطلبه منكِ هو مجرد فرصة .. فقط فرصة يا عايدة .. فهل هذا كثير ؟

كانت تتمنى أن تصفعه ؛ لماذا كلما حاولت أن تصدق أنه برئ يمنحها سبباً جديداً للشك به ؟ .. لماذا يضع أمام قلبها العراقيل و يمنعه عن الدفاع عنه ؟ .. السرعة الكبيرة التي يحاول أن يدفع بها الأمور بينهما لتصل إلى مرحلة جديدة لم تكن دليلاً على حبه .. فالحب قد يكون مجرد ستارة يخفي خلفها حقيقة المؤامرة القذرة التي يحيكها حولها و التي يجب ألا تنخدع بها لكنها يجب أن تجاريه و تتظاهر بتصديقه و تمنحه

الفرصة .. فرصة واحدة فحسب ليثبت إدانته قبل أن تندم على كل نبضة في قلبها خفقت لأجله و همست أحبك .

ارتجت الطائرة فجأة بعنف حتى أن عايدة لم تستطع أن تحفظ توازنها و ارتمت بين ذراعيه ؛ ظهر التوتر على وجه سليم خاصةً عندما ارتجت الطائرة مرة أخرى و هتف في حسم :

- عودي إلى مقعدك يا عايدة و بسرعة لو سمحتِ .. سنتحدث في وقتٍ آخر .

دخل الطيار المساعد إلى قمرة القيادة و هو يهتف في توتر :

- حدث عطل في أحد المحركات ؛ أليس كذلك ؟

غادرت عايدة قمرة القيادة و عادت إلى مقعدها ؛ ربطت حزام الأمان عندما طلبت المضيفات من الجميع أن يفعلوا

هذا ؛ حاولت أن تسيطر على ارتجاف جسدها الذي لم يكن له دخل في محركات الطائرة التي توقفت واحداً بعد الآخر و لا في الطائرة التي أصبحت بالفعل مهددة بالسقوط في البحر ؛ و لم يكن يشكل لها فارقاً أن تموت غرقاً أم برداً و لا مشكلة لديها في أن تأكلها الأسماك .. كانت مشكلتها الوحيدة هي الشعور الرائع الذي تدفق في عروقها عندما ارتمت بين ذراعي سليم و أحست بدفء صدره و أنفاسه للحظة واحدة فحسب .. لحظة ظلت تسيطر على تفكيرها و يرتجف لها قلبها الذي ظلت تنعته بالأحمق لكنه كان سعيداً بحماقته و لا يرضى عنها بديلاً و لم تعرف عايدة ماذا تستطيع أن تفعل لتمحو تلك اللحظة من ذهنها أو لتوقف قلبها عن الخفقان .

الفصل الخامس

تنفس سليم الصعداء ما إن استقرت الطائرة على أرض المطار في أثينا ؛ بينما تهلل وجه مساعده فرحاً و هو يهتف في سعادة :

- الحمد لله .. الحمد لله .. هذه معجزة يا سليم .. ظننت أن الطائرة ستتحطم لا محالة و لن تتمكن من الهبوط بها .. لا أصدق كيف استطعت السيطرة عليها بعد أن توقفت ثلاث محركات عن العمل .. أنت مدهش .

نهض سليم و هو يهتف في توتر :

- عناية السماء ساعدتني يا وجدي فمن الواضح أن أجلنا لم يحن بعد .. دعنا نطمئن على الطاقم والركاب .. لن تنتهِ مهمتنا قبل خروجهم من الطائرة بسلام .

كان سليم يدرك أن النصف ساعة التي مرت منذ بدأت الطائرة تفقد توازنها كانت هي الأصعب في حياته كلها و ربما في حياة كل الموجودين بالطائرة ؛ مرت بالجميع موجة من الذعر و الفزع كفيلة بتحطيم أعصابهم ؛ و على الرغم من أنه كان يريد بالفعل الاطمئنان على الجميع و الإشراف على خروجهم من الطائرة لكن قلبه و عيونه كانا يبحثان عن الفتاة التي يتمنى أن يطمئن عليها و لم يكف عن التفكير بها و لا للحظة واحدة و هو يكافح بكل قوته للسيطرة على الطائرة التي كان سقوطها لا يهدد حياته و حياة جميع الركاب فحسب .. بل يهدد حياة عايدة و هو لم يكن يدرك قبل هذه اللحظة أن حياتها هي أهم ما في حياته بل هي أهم من حياته نفسها .

طلب سليم من وجدي أن يظل مع المضيفات حتى يشرف على خروج الركاب من الطائرة قبل أن يذهب للبحث عن عايدة ؛ هي لم تكن بين من أخرجهم من الطائرة و لم يكن يراها أمامه و لم يكن مستعداً لمغادرة الطائرة بدونها .. وجدها لا تزال جالسة فوق مقعدها و حزام الأمان لا يزال مربوطاً حول وسطها و في عيونها نظرة زائغة و دمعة حائرة لم تقرر بعد ما إذا كان عليها أن تنتحر على أهدابها أم أن تذوب بين جفونها ..

أسرع سليم نحو عايدة .. فك حزام الأمان و هو يهتف في لوعة :

- هل أنتِ بخير ؟

همست عايدة :

- أنا لا أهاب الموت .. مستعدة للتضحية بحياتي في أية لحظة في سبيل قضية

عادلة .. لكنني لا أريد أن أكون ضحية .. لا أحب أن أساق إلى الموت كما تساق النعاج للذبح .. لكان هذا مأساوياً جداً و أنا لا أحب النهايات التعيسة .

ابتسم سليم ومد يده يساعدها على النهوض و هو يهتف :

- و من سيسمح لكِ بالموت الآن ؟ .. ليس قبل أن تعيشي معي عمراً بأكمله و تنجبي لي نصف دزينة أطفال .. تعالي معي يا عايدة .. أنتِ مصدومة و تحتاجين إلى بعض الهواء المنعش و مشروباً يهدئ أعصابك .

عندما عاد سليم إلى باب الطائرة و عايدة في يده كان وجدي ينتظره مع إحدى المضيفات و هتف في ثقة :

- خرج الجميع بسلام يا كابتن و لا يوجد هنا سوانا نحن الأربعة .. سيارات الإسعاف متواجدة على أرض المطار

لكن لحسن الحظ لم يصب أحدٌ من الركاب بخدشٍ واحد .. لدينا بعض حالات إغماء من التوتر العصبي و أغلب الظن أنه سيتم إسعافها جميعاً هنا و لن يضطر أحد لدخول المستشفى .

هتف سليم في ارتياح :

- الحمد لله .. هيا بنا .

انزلق وجدي و المضيفة على ممر الهبوط أولاً قبل أن يمسك سليم بيد عايدة و هو يهمس :

- هذه المرة سنكون معاً يا عايدة و لن تستطيعي أن تقولي لا .

قبل أن تدرك ما يفعل كان يحيط خصرها بذراعيه قبل أن ينزلق بها إلى خارج الطائرة ؛ قلبها الذي كان يرتجف كلما اقترب منها أو لمسها كان يبكي في

حسرة فقد جعلتها اللحظات المريعة التي مرت بها تعرف أن ما نبت في قلبها نحو سليم قد غرس جذوره إلى العمق و لن يمكنها اقتلاعها .. اللعنة على هذ الرجل .. لو أنها تستطيع أن تثق به و تؤمن ببراءته لكانت الآن في أسعد أيام حياتها و لما كانت تشعر بكل تلك التعاسة .. ربما يعتقد سليم أن مواجهة الموت هي ما صدمتها لكنها لا تستطيع أن تخبره بأن ما صدمها بالفعل هو مواجهة تيار العواطف الذي يجذبها نحوه و الذي لم تكن مستعدة له .

على أرض المطار كان أمام سليم الكثير لكي يفعله ؛ اطمأن أولاً على سلامة الركاب و تحدث مع رجال الإسعاف و الحالات التي أفاقت من إغماءتها كما طمأن الجميع بأن الشركة ستتدبر إكمال رحلتهم إلى روما خلال ساعات قليلة

و بمجرد أن يستعيد الجميع هدوءهم و توازنهم .

أجرى سليم اتصالاً طويلاً مع الشركة قبل أن يذهب إلى وجدي ويهتف :

- الشركة خصصت طائرة لنقل الركاب إلى روما و هناك أماكن لك أنت و باقي الطاقم على طائرة مصر للطيران التي ستغادر إلى القاهرة غداً .. فحص الطائرة و التوقف على أسباب العطل سيحتاج بعض الوقت و لن تنتهِ التحقيقات بسرعة .

هتف وجدي في قلق :

- و أنت ؟ .. ألن تعود معنا إلى القاهرة ؟ .. بذلت جهداً عصبياً جباراً يا سليم و تحتاج لبعض الوقت حتى تسترد توازنك و لا يمكن أن تكمل الرحلة بالركاب إلى روما فهذا كثير .

ربت سليم على كتف وجدي و هتف في هدوء :

- اطمئن .. الشركة تدبرت الطائرة و الطاقم الذي سيتحرك بها .. أنا سأكون بين الركاب لأنني حصلت على أجازة من الشركة تليفونياً و لمدة أسبوع و سأقضيها مع خطيبتي في روما .. كلانا يحتاج إلى هذا بعد التجربة المريعة التي مررنا بها جميعاً .

ابتسم وجدي و هتف في ارتياح :

- رائع .. تستحق الأجازة بالفعل .. جميعنا يستحقها لكنني سأقضيها مع زوجتي و ابني .. على فكرة .. خطيبتك جميلة جداً و أظن أنني قد رأيتها من قبل .. هي نفسها الملازم عايدة من شرطة المطار ؛ أليس كذلك ؟

بحث سليم عن عايدة ؛ وجدها جالسة في المقهى و هي تشرب القهوة كالعادة

؛ جلس على المقعد الذي أمامها و هو يهتف :

- القهوة الآن ستثير أعصابك يا دودي .. نحتاج لوجبة ساخنة وموسيقى هادئة و مكان لطيف نقضي به الثلاث ساعات القادمة قبل أن نستقل الطائرة مرة أخرى ونعود لاستئناف رحلتنا إلى روما .. هيا بنا .

همست عايدة في فتور :

- لا أحب دودي هذه .. لم أعتاد على أن يدللني أحد حتى والديّ .. تربيت في مدرسة راهبات داخلية ثم التحقت بكلية الشرطة و هنا و هناك كانت المعاملة صارمة و رسمية .. كما أنني لن أذهب معك إلى أي مكان فأنا لا أعرفك .. بل أعرفك .. أعرف أنك مغامر وأفاق و تسعى خلف نزواتك طوال الوقت و أنا لا أحب أن أكون مجرد اسم على لائحة غرامياتك .

هتف سليم في صدق :

- كتبت آخر سطر في لائحة غرامياتي ما إن نظرت في عينيكِ لأول مرة يا عايدة و مزقتها و لم يعد لها مكان في حياتي .. حاضري و مستقبلي صفحة بيضاء الاسم الوحيد الذي أحب أن أسطره بها هو اسمك أنتِ .. أنا أحبكِ يا عايدة و أعرض عليكِ الزواج .. عرض قد تتسرعين برفضه لكنني لا أنصحك بهذا .. امنحيني فرصة لأثبت لكِ صدق نواياي تجاهك ولن تندمي .

كان يبدو صادقاً لآخر مدى و كانت تتمنى تصديقه ؛ لكنها كانت تعرف أنه كاذب .. ففي الوقت الذي يدعي فيه الحب و الإخلاص و يتحدث عن الصفحات المشينة التي تمزقت و الصفحة البيضاء التي ينوي أن يسطرها معها كانت هناك عشيقة تنتظره في روما و الأسوأ أن مشاركتها

الفراش هي أول خطاياه معها لكنها ليست آخرها و ما بينهما قد يكون أشد حقارة من هذا بكثير .

الفصل السادس

جلست عايدة على مقعدها في الطائرة و هي تحاول أن تشعر بالاسترخاء لكن كل محاولاتها باءت بالفشل خاصةً عندما اقترب سليم منها و جلس على المقعد المجاور لها .. هتفت في حدة :

- ماذا تفعل هنا ؟ .. هل تقود تلك الطائرة اللعينة نفسها بنفسها ؟

ربط سليم حزام الأمان و هو يهتف :

- أتظنين أنه ليس في الشركة طيارون غيري ؟ .. الطائرة لها طاقمها و أنا هنا مجرد واحد من الركاب لا أكثر و لا أقل .. و هذا مقعدي و أنت مضطرة للبقاء بجواري حتى آخر الرحلة .

زمت عايدة شفتيها في ضيق بينما أشار سليم إلى علامة ربط حزام الأمان و هو يهتف :

- الطائرة على وشك الإقلاع .. هلا سمحتِ لي بربط حزام الأمان لكِ .

هتفت في حدة :

- لا .. أنا لست عاجزة و أستطيع ربطه بنفسي .. كما أنني متعبة و أحتاج لأن أنام و يمكنك أن تكون لطيفاً و تلتزم بالصمت أو تذهب لتزعج راكباً غيري بثرثرتك .

ربطت عايدة حزام الأمان ثم أغمضت عينيها ؛ تظاهرت بالاستسلام للنوم لكنها كانت متوترة و لا يبدو أنها تستطيع أن تنام بالفعل ؛ أما سليم فقد استرخى في مقعده بعد أن حلقت الطائرة في الجو و أغمض عينيه بدوره ..

اقتربت إحدى المضيفات منهما و هي تدفع أمامها عربة المأكولات و عليها

كعكة محلاة كبيرة بينما ارتفع صوت الطيار و هو يخاطب الركاب هاتفاً :

- شركة مصر للطيران تهنئكم على نجاتكم من حادث الطائرة و تتمنى لكم جميعاً رحلة سعيدة إلى روما .. كما أنني بالأصالة عن نفسي و بالنيابة عن الشركة و عنكم جميعاً أتوجه بخالص الشكر للكابتن / سليم الساعاتي الذي استطاع الهبوط بالطائرة بسلام و حافظ على حياة جميع الركاب و سلامتهم .. و ندعوكم للاحتفال بنجاتكم جميعاً على يديه .. شكراً كابتن سليم .. شكراً جزيلاً .

كفت عايدة عن التظاهر بالنوم و ظلت تتأمل سليم الذي وقف بين الركاب و هم يصافحونه و يشكرونه قبل أن يبدأ الجميع في أكل قطع الكعك وشرب العصائر و هم مبتهجون .. قدم لها سليم طبقاً من الكعك المحلى و هو يهتف :

- أشعر بالإحراج .. عادةً لا يعاملني الناس بهذا الامتنان .

همست عايدة في صدق :

- لكنك تستحقه يا سليم .. أنقذت حياتنا جميعاً ولولاك ربما لما كنا هنا الآن .. أنت بطل .

هتف سليم مبتسماً :

- تصرفت حسب مقتضيات الموقف يا عايدة .. لحسن الحظ أنني ماهر و أتقن عملي .. عموماً .. أحب أن أمارس حياتي كلها بإتقان و لن يمكنك أن تتخيلي كم أنا ماهر في أمور أخرى لكنني أنصحك بألا تحكمي قبل أن تجربيها بنفسك .

هتفت عايدة في غيظ :

- أنت سافل .. و أنا آسفة لأنني شعرت للحظة بالامتنان لشخص وضيع مثلك ؛

كنت أفضل أن تسقط الطائرة في البحر على أن أكون مدينة بحياتي لشخصٍ مثلك .

نهضت عايدة وذهبت إلى دورة المياه ؛ سمحت لعواطفها المضطربة بأن تتفجر كالأنهار من عينيها و هي تشعر بحماقتها .. لماذا قلبها الأحمق لا يريد أن يرَ سليم على حقيقته ؟ .. لماذا يصر على خداعها و رسم صورة مقدسة له مع أنه هو نفسه يصر على تذكيرها بمدى حقارته طوال الوقت ؟

كانت تتمنى أن تظل في دورة المياه طوال الوقت حتى تصل إلى روما لكنها غابت لأكثر من نصف ساعة قبل أن يستبد القلق بقلب سليم الذي طلب من إحدى المضيفات أن تتفقدها .. غسلت عايدة وجهها حتى تخفي آثار الدموع التي لطخت وجناتها بخطوط سوداء من

كحل عينيها قبل أن تخرج إلى المضيفة و تطلب منها أن تبحث لها عن مقعد آخر .. اقترب سليم منهما و هتف :

- لا داعي .. يمكنك أن تعودي إلى مقعدك وسيستضيفني زملائي في قمرة القيادة .. و اطمئني .. لن أزعجك حتى تنتهي الرحلة .

عندما حطت الطائرة على أرض المطار في روما كانت أعصاب عايدة قد هدأت بعض الشيء كما حاولت أن تستعيد صفاء ذهنها و هي تذكر نفسها بأنها ليست في رحلة .. هي ليست هنا لتتنزه أو لتتخبط في عواطفها نحو سليم .. هي هنا في مهمة رسمية .. مهمة خطيرة و حساسة .. عليها أن تثبت براءة سليم أو أن تجد دليلاً دامغاً على إدانته و في كل الأحوال يجب أن تستغل سليم في الوصول إلى هيلين لأن هذا هو الهدف الأهم من المأمورية كلها .

استغربت عايدة عندما وجدت والدها ينتظرها في المطار و هو في غاية القلق ؛ وصلت أخبار الهبوط الاضطراري للطائرة المصرية إلى كل وكالات الأنباء و علم بها والدها قبل الجميع و رغم أنه يعلم أنها بخير و أنه لا أحد من الركاب قد أصيب بغير الذعر لكنه لم يصدق هذا حتى رآها بعينيه .

احتقن وجه سليم بشدة عندما رأى الرجل الوسيم بالغ الأناقة الذي أحاط عايدة بذراعيه و ضمها إلى صدره بقوة .. شعر سليم للحظة بأنه يرغب في تهشيم رأسه و على الرغم من أنه يعلم أنه لا حق له عليها لكنه اقترب منهما و في عينيه شرارات غاضبة لا يستطيع أن يخفيها .

ابتسم زاهر و مد يده يصافح سليم و هو يهتف :

- أهلاً يا كابتن .. كل وكالات الأنباء قد نشرت صورتك و تتحدث عن دورك الفذ في إنقاذ الطائرة و الركاب .. أنا مدين لك بحياة ابنتي الوحيدة .

انفرجت أسارير سليم و مد يده يصافح زاهر في حرارة و هو يهتف :

- ابنتك ؟ .. سيادتك والد عايدة .. كم أنا سعيد بمعرفتك .. لم تقولي أن بابا ينتطرك في روما يا عايدة .

نظرت إليه عايدة بطرف عينيها قبل أن تتجاهله تماماً و هي تلتفت إلى والدها وتهتف :

- أين أمي ؟ .. ألم تصل بعد ؟

هتف زاهر في هدوء :

- طائرتها على وشك الوصول .. تحدثت معي هاتفياً و هي غاية في القلق .. أخبار حادث الطائرة المصرية انتشرت

بسرعة .. ربما من الأفضل أن ننتظر في المقهى .

كان من الطبيعي أن يستأذن سليم و يذهب إلى حال سبيله لكنه ذهب معهما إلى المقهى بكل برود و هو يهتف :

- المقهى اقتراح رائع فنحن نحتاج إلى مشروب دافئ بعد هذه الرحلة الطويلة .. و لن ننسَ البسكويت .. عايدة تحب البسكويت جداً .

هتف زاهر مبتسماً :

- جيد أنك ستظل معنا .. سعاد ستحب أن تشكرك بنفسها .

جلست عايدة ترشف قهوتها في صمت بينما هتف زاهر :

- أنا هنا في مؤتمر و معي وفد رسمي .. للأسف لم أجد لكِ حجزاً في نفس الفندق

لكنني حجزت لكِ غرفة في فندق قريب منا .. لديّ ارتباطات عمل كثيرة لكننا سنحاول أن نقضِ الكثير من الوقت معاً خاصةً ليلة رأس السنة .. أنا مدعو على حفل رسمي في السفارة و سيكون عليكِ أنتِ و أمك حضوره .. ما رأيك يا كابتن في حضور الحفل ؟ .. ستكون فرصة لتتعرف على سفيرنا هنا و يشكرك بنفسه .. أنت الآن بطل قومي و أنا واثق من أن كل الجهات الرسمية في مصر ستحب تهنئتك و تكريمك .

لا تعلم عايدة لما تشعر بالاستياء رغم أن خطة مجدي تسير بأفضل مما كان يتوقع حتى أن الأقدار بدا و كأنها تلعب دوراً في خدمته لكن قلبها كان يرتجف في خوف عندما قبل سليم دعوة والدها في ترحاب .

انسحب سليم بعد أن قابل أمها التي بدت تماماً كوالدها معجبة كثيراً به و ممتنة له ؛ كلاهما كان يعامله في احترام و مودة و لم تستطع عايدة أن تخبرهما بأنه قد يكون أحقر شخص عرفاه طوال حياتهما حتى بعد أن أصبحت معهما بمفردها و ألح والدها في أن يعرف سبب سفرها المفاجئ إلى روما و التعليمات التي صدرت له فجأة بحضور مؤتمر لم يكن من المقرر أن يحضره من الأساس .. هتفت عايدة في توتر :

- لست في حل لإمدادك بأية معلومات يا أبي ؛ كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني لست هنا في إجازة كما أدعي و أن هناك مأمورية هامة و حساسة و تمس الأمن العام و لا أستطيع أن أتحدث عن تفاصيلها .. أريدكما ألا تقلقا عليّ ؛ أنا لم أعد صغيرة و أظن أنني أستطيع أن

أتدبر أموري هنا جيداً حتى تنتهي المأمورية .

ذهبت عايدة إلى الفندق الذي ستقيم به بمفردها ؛ كانت تسحب حقيبتها الوحيدة و هي تشعر بالتعب عندما ظهر سليم أمامها في استقبال الفندق و هو يهتف في استياء :

- تأخرتِ كثيراً .. ليس من عادتي انتظار النساء فهن من ينتظر في العادة لكنكِ استثناء .. استثناء خلاب بشكل خيالي .

هتفت عايدة في ضيق :

- ماذا تفعل هنا يا سليم ؟ .. لا أتذكر أنني قد واعدتك أو شيء من هذا القبيل .. أكاد أن أموت من التعب و أريد أن أحصل على غرفتي لأنام ؛ فهل لديك مانع ؟

التقط سليم جواز السفر من يدها و قدمه لموظف الاستقبال قبل أن يلتفت لها هاتفاً :

- هل تعرفين أن هذا هو نفس الفندق الذي أقيم فيه دوماً كلما أتيت إلى روما ؟ .. لحسن الحظ أن لي صداقات عديدة هنا و أصدقائي المخلصون وفروا لي غرفة في نفس الطابق الذي به غرفتك .. الصداقة حل سحري للكثير من الأمور أحياناً .

تنهدت عايدة ؛ كان هذا ما توقعه مجدي تماماً لذا أتت التعليمات إلى والدها بأن يحجز لها في هذا الفندق بالذات .. كل شيء حتى الآن يثبت أن توقعات مجدي كلها صائبة و كم تخشى أن تكون صائبة في كل شيء حتى الحقيقة القذرة التي يظن سليم أنه يخفيها عنها و عن الجميع .

يعتقد مجدي أن سليم سيطاردها بإصرار ؛ و سينتهز فرصة وجودها معه في روما وحدها ليرمي كل شباكه حولها و عندما يظن أنه قد أفلح في اصطيادها بالفعل ستكون الشباك قد تم نصبها بخفة ومهارة لتوقع به هو و هيلين معاً .. لكن ما تخشاه عايدة هو أن ما لم يحسب مجدي حسابه هو قلبها الأحمق لأنه قد لا يرى الشباك و يصر على الوقوع في الفخ .. و الأسوأ أنه ربما قد وقع في شباك الحب بالفعل رغم أنه يراها و يعرف أن هذا هو آخر رجل من الممكن أن يقع في هواه .

الفصل السابع

وقفت عايدة أمام باب الغرفة و التقطت المفتاح من يد سليم و هي تهتف في استياء :

- أظن يكفي لهذا الحد .. أم أنك تخطط لأن نتشارك نفس الغرفة ؟ .

هتف سليم مبتسماً :

- سنتشارك نفس الغرفة و نفس الفراش و الحياة كلها و لكن ليس اعتباراً من الليلة .. لنقل أنني سأمنحك أسبوعاً من الآن لترتبي أمورك قبل أن نذهب إلى السفارة معاً ونعقد قراننا .. لن أعود إلى القاهرة يا عايدة إلا و أنتِ زوجتي و هذا قرار لا يقبل للنقاش .

هتفت عايدة في حدة :

- هذا هذيان لا يستحق النقاش أصلاً .. تصبح على خير يا سليم .

فتحت عايدة باب الغرفة و دخلت و هي تسحب حقيبتها قبل أن تصفع الباب في وجهه ؛ أغلقت الباب بالمفتاح قبل أن ترتمي في الفراش و تنفجر باكية .. كان كل هذا فوق طاقتها بكثير و لم تكن تدري كيف ستستطيع أن تتحمل كل هذه الضغوط عليها .

انتفضت عايدة في عنف عندما هتف مجدي :

- امسحي دموعك يا حضرة الضابط .

هبت عايدة تغادر الفراش و هي تنظر إلى مجدي في استنكار ؛ كان من الواضح أنه كان مختبئاً داخل الغرفة من قبل أن تدخلها لكنها لم تكن تتوقع هذا حتى أنها هتفت :

- ماذا تفعل هنا ؟ .. قلت أننا لن نلتقي في روما .

ناولها مجدي منديلاً فالتقطته و هي تشعر بالخجل ؛ لم تكن تحب أن يراها و هي ضعيفة لهذا الحد لكن مجدي كان يعلم أن حالتها هذه لم تكن أسوأ مما كان يتخيله .. همس مجدي :

- حادث الطائرة لم يكن في الحسبان يا عايدة و كان يجب أن أطمئن عليكِ بنفسي .. من الواضح أنكِ لستِ بخير ..

بتر مجدي عبارته عندما ارتفعت طرقات خفيفة على باب الغرفة ؛ ظهر الارتباك على وجه عايدة لكن مجدي أشار لها بأن تفتح الباب وهو يهمس :

- اهدئي و تصرفي بشكل طبيعي .. أستطيع أن أغادر الغرفة كما دخلتها و بدون أن يراني أحد .

همست عايدة في توتر :

- لا تذهب أرجوك .. أحتاج للحديث معك .. اختبئ في دورة المياه .

ما إن اختفى مجدي خلف الباب المغلق حتى فتحت عايدة باب الغرفة ؛ زفرت في حرارة عندما وجدت أمامها سليم و هو يحمل لها طعام العشاء .. وقفت في فتحة الباب و هي تهتف في ضيق :

- خير .. ألم تقل أنك كريم جداً و تركت لي أسبوعاً بأكمله لأرتب أموري قبل أن نتزوج ؟ .. هل غيرت رأيك و عدلت عن كرمك بهذه السرعة ؟ .. لأنني لن أتزوجك يا سليم .. لا الآن .. و لا بعد ألف عام .. حتى لو كنت آخر رجل في هذا العالم .

ابتسم سليم و هتف في مرح :

- أرأيتِ ؟ .. هذا هذيان الجوع يا حبيبتي لذا حرصت على أن أحضر لكِ عشاءك بنفسي .. كلي جيداً و نامي جيداً و قابليني غداً في التاسعة صباحاً في بهو الفندق لنتناول فطورنا معاً قبل أن أصحبك في جولة لمشاهدة أجمل معالم

روما .. على فكرة .. يمكننا شراء الشبكة من هنا ؛ أعرف جواهرجي لديه تصميمات ممتازة و ستعجبك .

هتفت عايدة في سخط :

- ألا تسمعني يا سليم ؟ .. قلت لك أنني لن أتزوجك .. هل أنت أصم ؟

هز سليم كتفيه و هتف في استخفاف :

- لا .. حتى أنني أسمع صوت قلبك و هو يقول لكِ أنكِ كذابة .. أنتِ مغرمة بي و لن يمر وقت طويل قبل أن تقفزي إلى فراشي .. و سأحرص على أن نعقد قراننا قبل هذا لأنني أريد أن أحتفظ بكِ إلى الأبد .. أحبك يا دودي .. حتى و أنتِ تكابرين .

تركها سليم و عاد إلى غرفته قبل أن تغلق الباب بالمفتاح و تضع الطعام على

المائدة بينما عاد مجدي إلى الغرفة وهو يهمس :

- لا أحتاج لأن أذكرك بمن يكون هذا الوغد يا عايدة ؛ أليس كذلك ؟ .. سليم خائن و مخادع و يستحق منكِ أنتِ بالذات أن تحتقريه لا أن تحبيه .. أنتِ لا تحبينه يا عايدة ؛ أليس كذلك ؟

سالت الدموع على وجهها و همست :

- حتى لو كنت أحبه فهذا لن يغير شيئاً .. سأمضي في تنفيذ الخطة حتى الإيقاع به متلبساً بجرمه .. أنت تريد دليلاً حاسماً يجعلك تقدمه إلى القضاء و أنت مرتاح الضمير و أنا سأساعدك في الوصول إليه .. هذا إذا كان سليم خائناً كما تتخيل لكن كلانا يعرف أنه قد يكون بريئاً .. و كم أتمنى أن يكون بريئاً بالفعل .

تأمل مجدي دموعها قبل أن يهتف في غيرة واضحة :

- ذلك الأفاق عرف كيف يلقي شباكه عليكِ و يوقعك في غرامه .. أنت تحبينه بالفعل يا عايدة و إذا تراجعتِ عن المهمة أستطيع أن أتفهم موقفك .. أنتِ لستِ مضطرة لأن تتحملي ....

قاطعته عايدة هاتفة في حسم :

- لكنني سأتحمل يا مجدي .. إذا وقع قلبي في حب جاسوس فيجب أن يدفع ثمن جريمته .. الألم الذي سيتحمله قلبي و أنا أقدم سليم للعدالة بنفسي سيطهرني من لعنته .

تنهد مجدي في حرارة و هتف :

- لأجلك يا عايدة أتمنى أن أكون مخطئاً رغم أنني نادراً ما أخطئ .. كل الشبهات حتى الآن تدين سليم بما في

هذا مطاردته لكِ بحبه بكل هذا الإصرار .. لكن لهاثه خلفك قد يكون مغرضاً فأنتِ صيدٌ كبير لا أظن أن أرباب نعمته سيسمحون له بأن يفشل في الإيقاع به .

مسحت عايدة الدموع عن وجهها و هي تهتف :

- لن يمر وقت طويل قبل أن نتأكد مما إذا كان سليم يحبني كما يدعي أم أنه يغرر بي .. أنت تضعه تحت المراقبة طوال الوقت يا مجدي ؛ أليس كذلك ؟ .. سليم كان يذهب إلى هيلين في كل زياراته إلى ايطاليا لكنه إذا لم يفعل هذه المرة فليس لهذا سوى معنى واحد .. سليم يحبني و لا يخدعني .. لو كانت قد نجحت في تجنيده بالفعل و لو كان يسعى خلفي ليستغلني في أعمال التجسس فيجب أن يقابلها .. على الأقل ليرفع لها تقريره بكل الخطوات التي

مرت بها علاقتنا حتى الآن .. لكن إذا لم يفعل هذا فهو بالتأكيد صادق في عواطفه نحوي و لا يحاول خداعي .

رن جرس هاتف مجدي المحمول فتلقى المكالمة بسرعة و استمع إلى محدثه دون أن ينطق بحرفٍ واحد قبل أن يعيد الهاتف إلى جيب سترته و يلتفت إلى عايدة و يتأملها في صمت .. قرأت في عيونه أنها لن ترغب في سماع ما سيقوله حتى أنها كادت أن تعرف ما يريد أن يقوله من قبل أن ينطق و لا بحرفٍ واحد .. لذا سكتت و لم تقل شيئاً حتى أن قلبها كان يبتهل لأن يظل مجدي صامتاً لكنه لم يفعل .

تهاوت عايدة جالسة على طرف فراشها عندما هتف مجدي في أسى :

- آسف يا عايدة و لكن من الواضح أن وجهة نظرك سليمة .. بلغني تقرير

مراقبة سليم الآن .. و لن تحبي أن تعرفي ما جاء به .. سليم اتصل على راشيل من هاتف غرفته و أبلغها بأنه في روما و مشتاق كثيراً لها و هو في طريقه إلى بيتها الآن .. و أغلب الظن أنه سيقضي الليلة في فراشها .. لا أستطيع أن أعتبر هذا دليلاً على خيانته لبلده لكنه بالقطع دليل على خيانته لكِ لأن كل كلمة حب قد قالها لكِ كذب و خداع .. و أتمنى أن يكون هذا كافياً لأن تنقذي قلبك من براثن هذا الوغد لأنه حتى لو لم يكن جاسوساً فهو وضيع و لا يستحقك .

غادر مجدي الغرفة بينما ارتمت عايدة في فراشها و هي تشعر بأن عقلها يضيع في متاهة من الألم لا حدود لها ؛ لا تعرف ما إذا كان مجدي محقاً في أن علاقة سليم و هيلين الجنسية لا تعني بالضرورة أنه يعرف حقيقة هويتها

أو أنه قد تورط معها بالفعل في أعمال الجاسوسية لكنها تعرف أن الشاب الذي قال لها بأنها الميناء الذي يحب أن يستقر به كان يكذب و يخدعها لأنه لا زال يحب أن يطوف بكل الموانئ و لا يستطيع الاكتفاء بها حتى لو كان يحبها كما يقول .

لا تعرف عايدة كيف تركت قلبها يقع في شباك رجل مثل سليم تعرف جيداً أنه خائن و حقير و أن الحب و الصدق و الإخلاص كلمات جوفاء و فارغة بالنسبة لمن هو مثله و لا يعرف لها قيمة .. كيف خانها قلبها و ورطها معه إلى هذا الحد ؟ .. يجرفها تيار تعرف أنه يستطيع أن يدمر حياتها و مستقبلها و مع هذا لا تعرف كيف تتصدى له أو تحمي نفسها منه لكنها لم تكن مستعدة للاستسلام له مع أنها لا تعرف ماذا يجب أن تفعل .

في الصباح الباكر كانت عايدة تجلس في مطعم الفندق و على المائدة أمامها قدح القهوة و البسكويت ؛ في عيونها نظرة ألم حاولت أن تخفيها كما حاولت أن تخفي شحوب وجهها بالكثير من مساحيق التجميل .. اقترب سليم منها و جلس إلى الطاولة و هو يلقي عليها تحية الصباح .. بدا مشرقاً ومنتعشاً رغم أنه لم يعد إلى غرفته إلا منذ نصف ساعة ليغتسل و يبدل ثيابه و ربما لم يحظ بلحظة نوم واحدة طوال الليل .

ارتشفت عايدة القهوة و هي تكافح كي تصرف عن ذهنها الخيالات التي تملأ عقلها عن الليلة التي قضاها سليم في أحضان عشيقته لأن هذه الخيالات بالذات هي ما حطمت أعصابها طوال الليل و تركتها تبدو شاحبة كالموتى في الصباح ..

تريد أن يصفو ذهنها حتى تستطيع التركيز على مهمتها فمن الآن و صاعداً كان يجب أن تكون هناك حقيقة واحدة واضحة أمام عينيها و لا تغفل عنها أبداً .. سليم ليس حبيبها .. سليم هدفها و يجب أن تصل إليه .. لكنها لم تكن تعرف كيف تقنع عقلها بمطاردته طوال الوقت و هي تكافح كي تجعل قلبها يمعن في الهروب منه .. كيف ؟

الفصل الثامن

لم تكن عايدة تتخيل أن روما جميلة لهذا الحد كما أن سليم كان على دراية بكل شبرٍ فيها و كأنه قد عاش بها طوال حياته ؛ تعرف أن السعادة التي تحس بها تتدفق في عروقها لا شأن لها بروعة المباني و التماثيل المنتشرة في الشوارع و الميادين بل لها كل الشأن بالرجل الذي كان يتظاهر بأنه مشغوفٌ بها و كان يتقن التمثيل حتى أنها كادت أن تصدقه مع أنها تعرف كم هو كاذب و حقير .

لا تعرف عايدة كيف مرت بها لحظات كانت تفقد فيها كل شكوكها في سليم و تنساها تماماً و كأن عقلها يغيب في الشعور بالسعادة التي لم تعرفها من قبل قط حتى أنها تمنت لو يظل هذا اليوم يعيد نفسه مراراً و تكراراً حتى آخر نفس في صدرها لأنها لا تريد أن تمضي الحياة بها قدماً للأمام فهي تعرف أنه ليس في مستقبلها

بعد أن تخسر حبها الوحيد سوى تعاسة لن تنتهِ .

من أين يأتي هذا الرجل بكل الكلمات التي تعبث بمشاعرها و تغيب عقلها و كأنها تسكره ؛ كيف يستطيع أن يتحدث بكل هذا الصدق و هذه الحرارة و هو لا يقصد حرفاً واحداً مما يقول ؟ .. و كيف تستسلم لتيار عواطفها يجرفها بلا مقاومة مع أنها تعرف أن سليم يغرر بها و يخدعها و لو لم يكن هذا بغرض تجنيدها فعلى الأقل لأنه يطمع بها و يريد توريطها في نزوة جديدة من نزواته لكنها بالفعل لم تكن تقدر على مقاومة سحره أو بالأحرى لم تكن ترغب في المقاومة .

يأتينا الحب مرة واحدة في العمر و قد لا يأتي أبداً فكيف إذا أتى في غير محله و ورطنا بدون قصد في علاقة مشبوهة من الممكن أن تحطم

حياتنا و مستقبلنا ؟ .. قاومي يا عايدة .. قاومي بكل قوتك .. كان هذا صوت عقلها يصرخ في ثورة و لكن كلنا في الحب حمقى و لا أحد يسمع صوت عقله يصرخ به عندما يهمس القلب .

كانت عايدة تتناول غداءها مع سليم في أحد المطاعم عندما اقتربت هيلين منهما و ألقت التحية ؛ شحب وجه سليم قليلاً و بدا و كأن وجود هيلين في هذا المكان قد فاجأه أما عايدة فقد تظاهرت بأنها لا تعرف هيلين عندما أجرى سليم التعارف بينهما .

كانت عايدة تتأمل هيلين في غيرة واضحة و هي تهتف بالانجليزية :

- سليم صديق عزيز و أصدقاؤه أصدقائي .. يجب أن تحضرا الاحتفال

بالكريسماس معي .. أقيم حفلاً في شقتي سيروق لكما بالتأكيد .

هتف سليم بسرعة :

- للأسف لن يكون هذا ممكناً .. لدينا دعوة لحضور الحفل الذي ستقيمه سفارتنا هنا .

هتفت عايدة فجأة :

- لا مشكلة .. حفلات السفارة عادةً مملة و يمكننا أن ننسحب بعد أن يرانا والديّ و الجميع و لن ينتبه أحد لغيابنا .. هيلين تبدو لطيفة جداً و أحب أن يصبح لي صداقات في روما .. أحببت البلد و بالتأكيد سأزورها مرة أخرى .

ظهر العبوس على وجه سليم لكنه أخفاه بسرعة أما هيلين فقد انصرفت و قد بدا أنها قد انتهت مما أتت لأجله .. ما إن ذهبت حتى هتفت عايدة :

- من الواضح أنها صديقة عزيزة جداً لديك .. هل تعرفها منذ وقتٍ طويل ؟

هتف سليم في فتور :

- لا .. منذ أشهر قليلة .. لديها شركة سياحة و الأفواج التي ترسلها إلى القاهرة أو تأتي لها من القاهرة تستقل طائرتي في العادة .. علاقة عمل يا عايدة لا أكثر و لا أقل .. أم أنكِ غيورة بعض الشيء ؟

هزت عايدة كتفيها و هي تهتف في استخفاف :

- و مما أغار و لما ؟ .. نحن معاً يا سليم لأنك الشخص الوحيد الذي أعرفه هنا لا أكثر و لا أقل .. و عندما نعود إلى القاهرة سيعود الوضع لما كان عليه .. نحن رفيقا سفر و لسنا حتى أصدقاء .

رفع سليم حاجبه و بدت في عينيه نظرة استخفاف بما تقول ؛ قبل أن يهتف في ثقة :

- عندما نعود إلى القاهرة ستكونين في عصمتي .. وعلى فكرة .. نسيت أن أخبرك بأنني مررت على السفارة هذا الصباح و تحدثت مع والدك و طلبت يدك منه .. و هو لا يمانع في أن نعقد قراننا هنا قبل عودتك للقاهرة .

ظهرت الصدمة على وجه عايدة و هي تهمس :

- أنت تمزح ؛ أليس كذلك ؟

أمسك سليم كفها التي فوق الطاولة و اعتصرها بين أصابعه برفق و هو يهتف في صدق :

- لا أحد يمزح في هذه الأمور يا عايدة .. أنا أحبك و أريد أن أتزوجك .. هنا ..

و الآن إن أمكن .. و لا أظن أن لديكِ مانع .

لديها ألف مانع .. لا يمكن أن تتزوج رجلاً لا تثق به و تشك في نواياه .. و لا يمكن أن تقبل بأن تصبح زوجة جاسوس و لا أرملته بعد أن يتم تنفيذ حكم الإعدام به .. و بالتأكيد لن تربط مصيرها برجل تعرف أنها تمهد الطريق أمامه إلى حبل المشنقة لأنها هكذا تغدر به حتى لو كان هذا ما يستحقه .. للزوج حقوق أولها أن تستره و هي لا تستطيع أن تتستر على خائن يتخابر مع أجهزة أمنية معادية تخطط لتدمير وطنها مهما كانت تحبه .

سحبت عايدة كفها من بين أصابعه و هي تهمس :

- دعنا نؤجل هذا الحديث الآن و اعذرني فأنا يجب أن أذهب للتسوق .. أحتاج إلى ثوب سهرة من أجل الحفل و ..

نهض سليم و هو يهتف في حماس :

- أعشق التسوق .. و إذا اخترتِ ثوب السهرة أبيض اللون سأشتريه على حسابي و سأعتبر هذا موافقة مبدئية على طلبي .. أحبك يا عايدة .. أحبك من كل قلبي .. و لن أسمح لكِ أبداً بأن تصفعي أبواب قلبك في وجه حبي .

أصر سليم على أن يظل معها و اختار لها ثوب السهرة الذي يروق له و دفع ثمنه من ماله الخاص و رغم أن عايدة قد قالت له أنها لا تريد هذا الثوب و لن تلبسه و على الرغم من أنها اشترت ثوباً آخر لكنها في ليلة الحفل ذهبت معه إلى السفارة المصرية و هي ترتديه و كانت

في عيني سليم نظرة انتصار لا تروق لها و هو يتأملها في إعجاب .

شعرت عايدة بالتوتر عندما تعامل السفير و جميع الموجودين بالحفل مع سليم و كأنه بطل قومي و زاد توترها عندما اعتبره الجميع خطيبها بما في هذا والداها اللذان لم تجد فرصة للانفراد بهما قبل أن يقترب والدها منها و هو يهتف :

- كل سنة و أنتِ طيبة يا عايدة .. أتمنى أن نحتفل بالكريسماس في العام المقبل و معنا ولي العهد .. صحيح أنني و والدتك كنا نحب أن نقيم حفلاً كبيراً لزواجك لكن لا بأس .. سنؤجل هذا إلى الزفاف .

هتفت عايدة في استغراب :

- ما الذي تتحدث عنه يا أبي ؟

هتف سليم بسرعة :

- عن عقد زواجنا يا دودي .. اتفقت مع سيادة السفير على أن يتم العقد الليلة في السفارة و في هذا الحفل .. على الأقل سيحضر والداكِ العقد فكما فهمت من ظروف الأسرة أن لم شمل ثلاثتكم معاً لا يتم إلا على فترات بعيدة جداً و أنا لن أنتظر لبضعة أشهر أخرى حتى نتزوج .

شحب وجه عايدة بشدة بينما هتف والدها في قلق :

- هل أنتِ بخير يا عايدة ؟ .. هل لديكِ مشكلة في عقد القران الليلة ؟ .. لأن ما فهمته من سليم هو أنكما قد ناقشتما الموضوع وترغبان في إتمام الإجراءات بسرعة .

كان عليها أن تقول لا .. كان يجب أن توقف هذه المهزلة التي يديرها سليم قبل

أن تصبح العواقب وخيمة .. كان يجب .... لكنها وجدت نفسها فجأة توقع على عقد الزواج و تتقبل التهاني من والديها و السفير و كل الموجودين .

مجنونة .. أنتِ حتماً مجنونة .. هكذا ظلت تردد في سرها و هي تنسحب مع سليم من الحفل قبل منتصف الليل بتوقيت روما بساعة كاملة و هتف سليم في ابتهاج :

- أريد أن أحتفل بعقد قراننا يا دودي .. اختاري أجمل مكان في روما لنمضي باقي سهرتنا به .

تنهدت عايدة و همست :

- شقة هيلين .. هل نسيت أننا مدعوان إلى حفل هناك ؟

تردد سليم .. لا تدري لما لم يكن يرغب في الذهاب بها لهذا الحفل .. ربما لم

يكن من السهل عليه أن يجمع زوجته و عشيقته تحت سقفٍ واحد لكنها كانت تعرف أن دخولها إلى شقة هيلين وشركتها بطريقة طبيعية و بدون أن تثير أية شكوك في عقل هيلين أو عقول من خلفها هو ما جاء بها إلى روما من الأساس لذا أصرت على الذهاب و لم يكن أمام سليم سوى أن يفعل ما طلبته منه .

كانت شقة هيلين واسعة كثيراً كما كان الحفل صاخباً بأكثر مما كانت عايدة تتخيل ؛ كما كان هناك بين الضيوف بعض المصريين ضمن العديد من الجنسيات مما جعل عايدة تدرك أن هيلين بالفعل غاية في الخطورة .

تجولت عايدة في الشقة وسط الزحام بمفردها فقد ابتعد سليم مع هيلين إلى الشرفة رغم برودة الجو لأكثر من عشر

دقائق كاملة كانت كافية لتفعل عايدة ما تريد كما أنها كانت كافية لتجعلها تشتعل غيرةً من المرأة التي استحوذت على زوجها و لم يجف الحبر الذي وقعت به عقد زواجها بعد .

عندما عاد سليم إلى عايدة كان يحمل في يده كأساً من الويسكي التقطته عايدة من يده و هي تهتف :

- الجو في الشرفة ساحر ؛ أليس كذلك ؟

انطفأت الأنوار و بدأ العد التنازلي للثواني الأخيرة في العام و بدلاً من أن يجيب سليم على سؤالها جذبها إلى صدره و قبلها في حرارة .

الفصل التاسع

تنهد سليم في حرارة و هو يتأمل عايدة التي جلست في الفراش و هي تخفي وجهها بين كفيها و تبكي في حرقة ؛ منذ أفاقت من غفوة النوم و تأثير الخمر التي شرباها معاً في حفل هيلين و هي تبكي في عنف و هو لا يعرف كيف يجعلها تهدأ و تكف عن البكاء ..

أشعل سليم إحدى سجائره و هو يفكر في أنه لا يعرف كيف يجعلها تقتنع بأنه لم يكن يخطط لأن تقضي هذه الليلة في فراشه و أنه هو أيضاً لم يكن في وعيه ؛ يشرب الخمر مع هيلين أحياناً لكنه هذه المرة شرب كثيراً .. ربما لأن وجود هيلين و عايدة معاً كان يضغط على أعصابه و يشعره بأنه سافل و حقير و كان يكره هذا الشعور بشدة .

عايدة لم تكن تشرب الخمر و لم تذقها قبل هذه الليلة على الإطلاق حتى قبلها سليم .. لا تدري كيف انتفض قلبها حتى كاد أن يحطم ضلوعها و لا كيف شعرت بأن حلقها قد جف حتى أنها تجرعت الكأس الذي في يدها حتى آخره بدون تفكير ثم أصر سليم على أن يرقص معها و لا تتذكر ماذا حدث بعد هذا حتى استيقظت في الصباح لتجد نفسها مستلقية في فراشه و بين ذراعيه .

انتبه سليم عندما أحرقت السيجارة أصابعه فأطفأها في عصبية قبل أن يجلس على طرف الفراش و هو يهمس في رقة :

- عايدة .. حبيبتي .. لما أنتِ منهارة لهذا الحد ؟ .. أنتِ زوجتي يا عايدة و أياً كان ما جرى بيننا فهو ما كان سيحدث إن آجلاً أم عاجلاً .. لم نرتكب إثماً و لم نعتدي على حق أحد .. و يمكن أن نحتفل بزفافنا مع والديك قبل عودتنا إلى

القاهرة و نعيد الأمور إلى نصابها الصحيح .

لم تتوقف عايدة عن البكاء فهي إن لم تكن تستطيع أن تخبره بأن الأمور لا يمكن أن تعود إلى نصابها الصحيح لكن هي على الأقل تعرف أن زواجها منه هو أكبر حماقة قد ارتكبتها في حياتها ؛ و أن تماديها في علاقتهما قد حطم في حياتها الكثير و ما فسد بينهما لن يمكن إصلاحه حتى لو عثر مجدي على دليل يثبت براءة سليم .. مع أنها تستبعد من الأساس أن يكون بريئاً .

كانت عايدة تبدو في حالة مزرية حتى أن سليم هتف في توتر :

- عايدة .. حبيبتي .. صارحيني أرجوكِ .. هل أنتِ نادمة على زواجك مني ؟

هتفت عايدة في مرارة :

- لا شيء من هذا كان يجب أن يحدث يا سليم .. ما كان يجب أن أتزوجك من الأساس .. أين كان عقلي ؟ .. كيف طاوعت قلبي الأحمق و تورطت معك لهذا الحد ؟

احتقن وجه سليم و هتف في ضيق :

- لهذا الحد ؟ .. لما يا عايدة ؟ .. ما السبب ؟

كادت أن تهتف في حدة :

- لأنك جاسوس .

عضت عايدة شفتها السفلى قبل أن تنسحب من الفراش ؛ اختفت لدقائق داخل دورة المياه حاولت خلالها أن تستعيد السيطرة على أعصابها و عواطفها المضطربة قبل أن تعود إلى الغرفة ..

تأملها سليم و هي تمسح الماء عن شعرها الطويل قبل أن تجمع ثيابها المبعثرة على الأرض و ترتديها دون أن تنطق بحرفٍ واحد .

همت عايدة بمغادرة الغرفة عندما أمسك سليم ذراعها بقسوة و هو يهتف :

- لن تذهبي لأي مكان قبل أن نتحدث يا عايدة .. ما الذي يجعلك تندمين على زواجك مني ؟ .. ما العيب الكبير الذي بي و يجعلك تكرهين ارتباطنا ؟ .. أنا لم أغصبك على زواجنا .. وقعت العقد بملء إرادتك .. حتى ما جرى بيننا هنا كنتِ ترغبين به ؛ لم تكوني في رشدك لا أنكر و لكن في غياب عقلك قلبك كانت له الكلمة العليا ؛ و قلبك ملكي و يريدني ؛ فلماذا تكابرين ؟

انتزعت عايدة يدها من بين أصابعه و غادرت الغرفة ؛ لا تستطيع أن

تصارحه بكل شكوكها به و لا تستطيع أن تمضي في تنفيذ مأموريتها بعد أن صعبت الأمور على نفسها كثيراً فلا هي تستطيع أن تتجاهل ما تعرفه عن سليم و تستمر في هذا الزواج و لا هي تستطيع أن تعيد الأمور بينهما إلى ما كانت عليه قبل هذه الليلة .

عادت عايدة إلى غرفتها و أغلقت الباب خلفها و وقفت و هي تستند إلى الباب المغلق و هي تبكي في حرقة و كل ما تستطيع أن تفكر فيه هو أنها يجب أن تعود إلى القاهرة فوراً و قبل أن ينزلق لسانها و يكتشف سليم كل ما يجب أن تخفيه عنه و هو كثير .. يبدأ بأنها تحبه بجنون و ينتهي بأنها لا تستطيع أن تستسلم لهذا الحب و تتجاهل الحقيقة البشعة التي يحاول سليم أن يخفيها .

غادر مجدي دورة المياه التي كان يختبئ بها و نظر إليها في استياء و هو يهمس :

- انتظرتك طوال الليل يا عايدة .. لماذا ورطتِ نفسك مع ذلك الحقير ؟ .. فتاة مثلك كيف تغامر بحياتها و مستقبلها مع شخص ليس فوق مستوى الشبهات .

اقتربت عايدة منه و هي تهتف :

- نفذت نصف المأمورية يا مجدي .. زرعت الأجهزة في شقة هيلين و ستسمع و ترى كل شاردة و واردة تحدث بها و أنت جالس خلف مكتبك .. لكنني لم أعد أستطيع الاستمرار في هذا .. أريد أن أعود إلى القاهرة بسرعة لو سمحت .

هتف مجدي في توتر :

- أنا أقدر ظروفك و أعرف أن الوضع صعب يا عايدة و لكن لا يمكنك التراجع

الآن .. حتى لو استغنينا عن زرع الأجهزة في شركة هيلين لا يمكن أن تتركي سليم هكذا فجأة و بدون أسباب واضحة .. إذا شك في دوافعك مجرد الشك ستنهار العملية كلها و لن ...

بتر مجدي عبارته و شحب وجهه عندما فتح سليم باب الغرفة و نظر إليهما في غضب ؛ لا تعرف عايدة كيف نسيت أن تغلق الباب بالمفتاح كما اعتادت أن تفعل و لا يعرف مجدي كيف سيفسر وجوده في غرفة نوم عايدة بدون أن يكشف مأموريته .. أما سليم فقد كان آخر شيء من الممكن أن يتوقعه هو أن يجد رجلاً في غرفة نوم زوجته بالفندق .. الزوجة التي تعتبر زواجها منه غلطة كبيرة لا سبيل لإصلاحها بدون أن تبدي سبباً لهذا .. لكن الآن و في وجود هذا الرجل في حياتها فإن بعض هذه

الأسباب بات واضحاً و لن يمكنها إنكاره .

اقترب سليم من عايدة .. عيونه كانت تشتعل بالغضب و قلبه يحترق بالغيرة و هو يهتف :

- من هذا الرجل ؟ .. و ماذا يفعل هنا ؟

صمتت عايدة و أشاحت بعيونها عنه ؛ تعرف فيما يفكر الآن لكنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها ؛ أفسدت العملية بما يكفي حتى الآن و لا يمكن أن تنسفها من الأساس و هي تخبر سليم بأن في غرفتها ضابط من المخابرات العامة لا يهدف لشيء الآن سوى كشف شبكة التجسس التي هو فردٌ منها و تقديمها للمحاكمة .

احتقن وجه مجدي و هو ينظر إلى عايدة في توتر .. عايدة ضابط شرطة

قبل أن تكون زوجة .. عرضت العملية كلها للخطر حين انجرفت خلف عواطفها لكنها الآن لا يمكن أن تتصرف كما تفعل أية امرأة تجد سمعتها على المحك و تجد نفسها في موضع اتهام من الرجل الوحيد الذي تريد ألا تهتز صورتها في عينيه .. ليس من السهل عليها أن تتحمل هذا الموقف و ليس من العدل أن يصمت و لا يدافع عنها لكن القضية كانت أكبر من عايدة و من ثقة زوجها بها و إيمانه بطهارتها .. كانت قضية وطن يتعرض للخطر و كلاهما كان يرغب في حمايته .

انهمرت دمعة على وجه عايدة و أغمضت عينيها حتى لا ترى نظرة الغضب و الألم في عيني سليم الذي ظل يحدق في وجهها في ذهول و هو يفكر في أن صمتها ليس له سوى معنى واحد

.. لم يكن لديها ما تدافع به عن نفسها و لم تكن تريد أن تفعل .

ابتلع سليم إحساسه بالألم و المهانة و رغبته في أن يخنقها بيديه قبل أن يهتف :

- أنتِ طالق .

غادر سليم الغرفة بينما جلست عايدة على طرف الفراش و أخفت وجهها بين كفيها و هي تجهش بالبكاء .. أطرق مجدي برأسه و هو يشعر بالأسى لأجلها قبل أن يهتف :

- أنا آسف يا عايدة .. سأحرص على عودتك إلى القاهرة الليلة .

الفصل العاشر

سارت عايدة على شاطئ البحر و هي تفكر في شرود ؛ لم تكن ترى البجر الهائج الأمواج و لا السماء الملبدة بالغيوم فوقها و بالكاد كانت تشعر ببرودة الجو و هي تفكر في أنه قد مرّ شهران منذ ذلك الصباح في روما لكنها لا زالت تتألم كما كانت تتألم في ذلك الصباح و ربما أكثر .. لا شيء يستطيع أن يمحو من قلبها حبها للرجل الذي طلقها بعد زواجها بساعات و هو يحتقرها و ربما يكرهها رغم أن قلبها لا يزال يخفق بحبه و لا شيء في هذا العالم يستطيع أن ينتزع منه هذا الحب .

لم ترَ سليم منذ ذلك الوقت و حتى وثيقة طلاقهما حررها في السفارة بنفسه قبل عودته إلى القاهرة و في وجود والدها الذي كاد أن ينفجر غضباً و هو لا يعرف ما الذي جعل ذلك الأحمق يطلق ابنته بنفس السرعة التي تزوجها

بها ؛ لكن سليم لم يمنحه أية إجابات مما جعله يقطع زيارته الرسمية إلى روما و يعود هو و سعاد إلى القاهرة خلف ابنتهما التي غادرت ايطاليا فجأة و بدون مقدمات حتى أنها لم تخبرهما بأنها ستسافر من الأساس .

كان على عايدة أن تواجه سيلاً من الأسئلة أمطرها به والداها و أن تتحمل تياراً من الغضب تدفق في عروقهما خاصةً عندما ظلت كل تساؤلاتهما معلقة ولا إجابة عليها لأن عايدة لم يكن لديها ما يمكن أن تقوله أو تشرحه أو تبرر به فضيحة زواجها و طلاقها بهذه السرعة أمام والديها اللذين عادا إلى حياتهما و هما غاضبان منها و لا يرغبان في الحديث معها حتى أنهما كفا عن الاتصال بها و لم يحاولا السؤال عنها و لا لمرة واحدة خلال الشهرين الماضيين .

انتهت إجازة عايدة و كان عليها أن تعود لعملها في المطار لكنها لم تستطع أن تفعل ؛ لن تستطيع أن ترَ سليم بعد الآن و لا أن تنظر في عينيه كما لن تتحمل أن تكون في نفس المكان الذي جمع بينهما و لهما معاً الكثير من الذكريات به لذا قدمت طلباً لنقلها إلى إدارة أخرى ثم عدلت عنه و قدمت طلباً بإجازة طويلة و عندما صدر قرار نقلها إلى مصلحة السجون حصلت على موافقة بإجازة لمدة ثلاث شهور قبل تنفيذ قرار النقل لكنها لم تكن تعرف ما إذا كانت مستعدة للعودة إلى العمل أم لا خاصةً بعد الظروف الجديدة التي لم تكن في الحسبان .

عادت عايدة إلى الشاليه الذي تقيم به بمفردها منذ شهرٍ مضى تقريباً حتى أنها رفضت أن تصطحب المربية معها ؛ أغلقت هاتفها المحمول و تجاهلت رنين الهاتف الأرضي بالشاليه و انقطعت عن العالم بأسره في قرية

سياحية بالساحل الشمالي لم يكن من المتوقع أن يكون بها أحد في هذا الوقت من العام ..

لم تكن ترغب في الحديث مع أي شخص سوى نفسها التي لا تكف عن تأنيبها و تعذيبها ؛ حتى مجدي الذي حاول الاتصال بها أكثر من مرة تجاهلت اتصاله ؛ لم يكن لديه ما يقوله لها ليخفف ألمها و لم يكن هناك ما ترغب في سماعه حتى نتيجة العملية الفاشلة التي خاضتها في روما لم تعد مهمة بالنسبة لها .

فكرت عايدة في أنه خلال الشهرين الماضيين كان مجدي يستطيع جمع الكثير من البيانات عن هيلين و سليم و كل من يتعامل معهما ؛ و لابد من أن يكون لديه الآن إجابة حاسمة للسؤال الذي يعذبها .. ما هي حقيقة الرجل الذي تزوجته بالضبط ؟ .. و هل كانت بالنسبة له مجرد مغامرة عاطفية كان مشغوفاً

بملاحقتها أم أن الأمر بالنسبة إليه كان جزءاً من مؤامرة حقيرة يستهدف بها أمن الوطن كله ؟ .. هل هو خائن أم برئ ؟ .. هل ظلمته و ظلمت نفسها معه أم أن قلبها الأحمق ورطها في كارثة حطمت و ستظل تحطم حياتها و مستقبلها ؟ .. و يا ليته كان مستقبلها هي فحسب .

صنعت عايدة كوباً من الكاكاو الساخن و جلست على الأريكة أمام التلفاز و هي تشاهد نشرة الأخبار .. في كل لحظة تنتظر خبر القبض على جاسوس تحمل ابنه في أحشاءها حتى تحطمت أعصابها و كادت أن تنهار من قسوة الانتظار .. ربما كان عليها أن تتصل على مجدي ؛ ربما كان يستطيع أن يجيب عن كل التساؤلات التي تعذبها و يخفف عنها بشاعة ما تمر به .. لكنها لم تستطع أن تفعل .. ربما لأنها تخشى من الحقيقة و ترجئ

مواجهتها حتى تصبح المواجهة حتمية و لا مفر منها .

فكرت في ابنها .. كيف سيكون مصيره عندما يولد في هذه الظروف ؟ .. كيف سيعيش بين الناس إذا افتضحت حقيقة أبيه و تمت إدانته ؟ .. كيف سيتحمل أن يعيش موصوماً بالعار بلا ذنبٍ و لا جريرة ؟ .. الذنب ذنبها هي .. ما كان عليها أن تقع في حب رجل مثل سليم و هي تعلم جيداً ما قد يكون عليه .. ما كان عليها أن تنهار أمام عواطفها و تنساق في تيارها بلا ذرة واحدة من عقل أو روية .. و ماذا إذا اكتشف ابنها ذات يوم الحقيقة و علم بأن لها يد في كشف والده و القبض عليه ؟ .. هل سيتفهم موقفها ؟ .. هل سيغفر لها ؟ .. لا .. هي لا تستطيع أن تسامح نفسها على أنها ستجلبه إلى عالم لا ينتظره به سوى الفضيحة و العار و لا هو سيستطيع أن يسامحها .

و كان عليها أن تفكر في عملها .. لا تعرف كيف سيمكنها الاستمرار به بعد أن ينكشف أمر سليم أمام الجميع .. لطخت كرامة الزي الذي ترتديه بتورطها في هذه الزيجة الغبية و ربما عليها أن تستعد لتقديم استقالتها من الآن .. لا تعرف كيف ستدبر أمورها لتضمن لابنها حياة مستقرة و هي بلا عمل و لا زوج ولا مصدر رزق و لا عائلة يمكن أن تساندها و تتفهم موقفها .. تستطيع أن تتوقع من الآن موقف والديها بعد إدانة سليم ؛ غضبهما منها لطلاقها السريع و الغير موضح الأسباب منه جعلهما يقاطعانها كل هذه المدة و عندما يعرفان الحقيقة ستصبح القطيعة تامة و دائمة .

لا تعرف أسرة سليم و لا يعرفونها و ربما لا يعرفون بأن سليم قد تزوج أصلاً و لا تتوقع أن يساندها والديّ سليم و يدعمان ابنها بينما سليم نفسه لا يعلم بأنه سيصبح له ابن منها من

الأساس و إذا علم به قد ينكر وجود هذا الابن و يرفض الاعتراف به .

سمعت عايدة صوت محرك سيارة قبل أن تتوقف أمام الشاليه ؛ وضعت كوب الكاكاو على المائدة أمامها و نهضت لترَ من القادم مع أنها لم تكن تتوقع زيارة أحد لها فهي لم يعد لها أحد من الأساس .. فوجئت عايدة عندما فتحت الباب و وجدت أمها أمامها حتى أنها هتفت في استغراب :

- ماما .. عجباً .. كيف حصلتِ على إجازة أخرى بهذه السرعة ؟ .. هذه ليست عادتك .

دخلت سعاد إلى الشاليه و ألقت حقيبة السفر أرضاً و هي تهتف في استياء :

- جعلتيني مضطرة .. كما أن والدك في طريقه إلى هنا أيضاً .. ماذا حدث لكِ يا عايدة ؟ .. طوال حياتك و أنتِ ابنة

مثالية و لم تسببي لنا أية مشاكل .. لماذا أصبحتِ هكذا فجأة مصدر ازعاج لا ينتهِي ؟ .. هذا فظيع .

أغلقت عايدة باب الشاليه قبل أن تهتف في مرارة :

- طوال حياتي و أنا وحيدة يا أمي و لا أحد منكما يرعاني أو يشعر بمشاكلي .. لم أكن مصدر إزعاج لكما من قبل لأنني كنت خارج نطاق اهتمامكما و لا أحد منكما يسأل عني .. و حتى الآن .. أنا لم ألجأ لكما أو أطلب مساعدتكما .. مشاكلي تخصني و لن أورطكما فيها .. عودي أنتِ و أبي إلى عملكما و انسيا أمري .. لا تشغلا بالكما بي .

هتفت سعاد باستنكار :

- كيف تتحدثين هكذا ؟ .. أنتِ ابنتنا الوحيدة يا عايدة و إذا كانت لديكِ مشكلة بالفعل يمكننا أن نساهم في حلها .. لكن

أولاً دعينا نفهم ما هي المشكلة بالضبط .. تزوجتِ ذلك الطيار الأحمق لليلة واحدة ثم طلقتكِ دون أن يقول أحدكما ما السبب .. و السبب واضح و لا يحتاج إلى تخمين .. هل تتخيلين مدى الإحراج الذي تسببت فيه فضيحة طلاقك لي أنا و والدك ؟ .. و مع هذا أنا لن أناقش معكِ ما حدث .. أنا و والدك يمكننا أن نتفهم المسألة و لن نلاحقك بأسئلة محرجة لن ترغبي في الإجابة عنها .. لكننا يجب أن نفهم كيف تتركين البيت لكل هذه المدة بدون سبب .. لماذا تحبسين نفسك في هذا المنفى بدون مبرر ؟ .. لماذا تفرضين على نفسك هذه العزلة حتى أنكِ لم تصطحبي مربيتك أو أحد الخدم معكِ ؟ .. و وظيفتك ؟! .. أنا فوجئت و أنا في المطار بأنكِ قد طلبتِ نقلك من شرطة المطار و أجازة طويلة .. ما الذي يحدث بالضبط يا عايدة ؟ .. والدك

سيكون هنا خلال ساعات و أنتِ مدينة لنا بتفسير .

كانت عايدة تعرف بأنها مدينة لوالديها بتفسير بالفعل لكنها لم تكن تعرف ماذا عليها أن تقول أو كيف تشرح لهما حقيقة الوضع دون أن تقتلهما صدمتهما بابنتهما الوحيدة التي تصرفت بمنتهى الرعونة و ورطتهما في مصاهرة جاسوس و لا كيف سيستطيعان مواجهة الفضيحة التي قد تنسف مستقبلهما الوظيفي من الأساس ما إن تتضح الحقيقة و تبدأ المحاكمة .. محنة هي السبب بها لكنها لن تستطيع أن تضع لها نهاية و بالتأكيد لن يسامحها والداها على أنها أجبرتهما على خوضها .

في الصباح الباكر كانت سعاد لا تزال تغط في النوم عندما غادرت عايدة الشاليه و قادت سيارتها إلى مطار برج

العرب لتستقبل والدها .. كانت قد أرجأت المواجهة مع أمها حتى حضور والدها ليكون حديثها أمامهما معاً لذا جلست في مقهى المطار و هي شاردة العقل و أمامها قدح القهوة المعتادة .

عندما سمعت الإعلان عن وصول الرحلة التي بها والدها نهضت على مضض و تركت ثمن القهوة على المائدة ثم التفتت فإذا بها وجهاً لوجه أمام سليم .

انتفض قلبها و لمعت الدموع في عينيها ؛ كم كانت تشتاق إليه !! .. و كم كانت تلك النظرة الباردة في عينيه في منتهى القسوة !! .. للحظة نست أو تناست كل الحواجز التي تقف بينهما و تمنت لو ترتمي بين ذراعيه لكنه اقترب منها و هتف :

- أهلاً حضرة الضابط .. سمعت أنكِ قد تركتِ العمل في مطار القاهرة لكنني لم أتوقع أن أراكِ هنا .. هل أنتظر أن أراكِ هنا من الآن فصاعداً ؟ .. لأن بعض الرحلات التي أتولاها تنطلق من هنا أحياناً .

كان يتحدث في فتور .. كما لو كانت مجرد شخص يعرفه من مكانٍ ما و لا أهمية له لديه .. و كأنه قد نسي أنها زوجته .. أو كانت زوجته .. حتى لو كان هذا لليلة واحدة و لا يستطيع أحدهما أن يتذكر تفاصيلها ..

عاملها في برود و كأن شيئاً لم يكن لكن قلبها كان يحترق .. شوقاً إليه .. و خوفاً عليه .. و رهبةً من اللحظة التي لا يتخيل سليم أنها قد تكون قريبة جداً لكن سيكون عليه مواجهتها و هي تنتزع منه كل شيء .. مستقبله و حريته و ربما

حتى حياته .. لحظة دفع الثمن و التكفير عن الخطيئة التي لا تعرف كيف سقط قلبها في حبه رغم أنه لا يستطيع أن يغفرها له .

الفصل الحادي عشر

انسحبت عايدة من أمام سليم دون أن تنطق بحرفٍ واحد و غادرت المطار ؛ ركبت سيارتها و انطلقت بها في أي اتجاه و هي لا تعرف إلى أين ستذهب لكنها كانت تعرف أنها يجب أن تذهب حتى أنها لم تنتظر والدها و كأنها قد نست أو تناست وجوده .

كل ما كانت تفكر فيه عايدة هو أنها يجب أن تختفي من أمام سليم قبل أن تنهار و تقول له كل ما يجب ألا يسمعه منها .. للحظة فكرت كامرأة و كزوجة و كأم .. كادت أن تخبر سليم بأنها تعرف حقيقة علاقته المشبوهة مع هيلين ؛ بل إنها تعرف حقيقة هيلين نفسها .. كادت أن تصرخ به بأنه يجب أن يترك مصر نهائياً و لا يعود إليها مرة أخرى قبل أن تكتمل الأدلة في يد مجدي و تثبت إدانته .. كادت أن تحذره من

المصير الذي ينتظره وتتوسل إليه لكي يبتعد عن هيلين و عن مجدي قبل فوات الأوان ..

تعرف أن هروب سليم الآن قد يكون هو طوق النجاة الوحيد الذي يحمي حياته و سمعة أسرتها ومستقبل ابنها و يجنبهم جميعاً شر الفضيحة و العار لكنها لم تستطع أن تفعل .. لا يمكنها أن تخون شرف مهنتها و لا أن تساعد خائن جبان على الفرار من يد العدالة حتى لو كان حبيبها و والد ابنها الوحيد .

ظلت عايدة تقود سيارتها في الطرقات على غير هدى و الدموع تتدفق على وجهها قبل أن تعود إلى الشاليه لتجد والديها و هو يشتاطان غضباً ؛ لم تعد لديها ذرة واحدة قادرة على التماسك و المواجهة .. جلست على الأريكة و همست :

- أنا آسفة .. آسفة على كل شيء .. على ما عجزت عن أن أمنع نفسي من فعله و ما عجزت عن أن أجبر نفسي على أن أفعله .. آسفة يا أبي .. آسفة يا أمي .. آسفة .. و الله العظيم آسفة .

كانت منهارة حتى أنها قد فقدت الوعي لعدة ساعات و عندما أفاقت لم تكن في الشاليه بل كانت في المستشفى ؛ على الأقل الآن لم تعد مضطرة لأن تخبر والديها بأنها حامل فقد باتا يعلمان بالأمر لكن كان عليها أن تتحمل سخط والدها الذي هتف في حدة :

- هل أخبرتِ سليم بأنكِ حامل ؟

هزت رأسها نفياً ببطء و لم تقل شيئاً فهتف والدها و قد تزايدت حدته :

- هل هذا الحمل منه ؟

أغمضت عايدة عينيها و بكت في صمت ؛ بينما هتفت سعاد في توتر :

- كفى يا زاهر .. لا داعي لهذا الحديث الآن .. أخبرك الطبيب بأن أعصابها على وشك الانهيار و تحتاج للهدوء و الراحة و لا يمكنك الضغط عليها الآن .. دعنا نؤجل هذا الحديث الآن ؟

هتف زاهر في ثورة :

- إلى متى ؟ .. حتى يشهر بنا سليم في كل مكان .. ابنتك يجب أن تتخلص من هذا الحمل فوراً قبل أن تجلب علينا الفضيحة و العار .

هتفت عايدة في لوعة :

- لا .. أنا لن أقتل ابني .. هل تفهم ؟ .. لن أقتله .

كاد زاهر أن ينفجر في وجه ابنته لولا أن هتفت سعاد في حزم :

- اتركني مع ابنتي يا زاهر .. دعني أتحدث معها وحدنا .

غادر زاهر الغرفة بينما جلست سعاد على طرف فراش ابنتها وهتفت ببطء :

- دعينا نتحدث بصراحة .. أنتِ الآن مطلقة يا عايدة .. و سواء كان هذا الحمل من سليم أم لا فهو لن يشاركك في تحمل مسئوليته حتى لو اعترف بأبوته له .. فهل أنتِ مستعدة لتعقيد حياتك و إرباكها بطفل لم يكن في الحسبان ؟ .. أمامك حياة عريضة و مستقبل واسع و زيجتك الفاشلة كانت مخيبة للآمال بما يكفي فلما تتركينها تفسد عليكِ حياتك ؟ .. والدك محق .. دعينا نتخلص من الحمل قبل فوات الأوان و صدقيني يا عايدة سيكون هذا في صالح ابنك قبل أن يكون في صالحك .

أصرت عايدة على مغادرة المستشفى ؛ صدمها موقف والديها فقد كانت تفهم أنهما قد ينصحاها بإجهاض الطفل إذا ثبتت إدانة سليم لكن أن يفعلا هذا حتى من قبل أن يعرفا الحقيقة كان هذا ما لم تتوقعه ..

عادت عايدة إلى القاهرة بينما عاد والداها إلى عملهما قبل أن يحسما المشكلة من وجهة نظرهما .. نعتاها بالغباء و المكابرة و سوء التصرف ثم ذهبا دون أن تصارحهما عايدة بشيء فهي لم تكن مستعدة للحديث معهما لأنه لا طائل منه .

فكرت عايدة في سليم .. ماذا سيفعل إذا ذهبت إليه و أخبرته بحملها ؟ .. هل سينكره ؟ .. يتخيل أنها على علاقة مع رجل آخر من قبل أن تتزوجه و ربما يظن أنها قد تزوجته لتخفي آثار هذه

العلاقة .. لن تستبعد أن يكون رأيه مثل رأي والديها و يرغب في التخلص من الجنين حتى لو اقتنع بأنه ابنه .. هو لا يريد ما يربطه بها و ربما يكونون جميعاً محقين .. لكنها لا تستطيع أن تسمع صوت عقولهم و تصم آذانها عن صوت قلبها .. قلبها يريد المضغة التي تنمو في جوفها وستربط لحمها بدماء الرجل الوحيد الذي نبض قلبها بحبه و لا يمكنها أن تتخلَ عن هذا الطفل كما لا تستطيع أن تنتزع من قلبها هذا الحب .

نبت في قلبها فجأة املٌ كبير عندما فكرت في أن جنينها هذا في حد ذاته قد يكون هو طوق النجاة بالنسبة إلى سليم ؛ قد يكون هو الفرصة التي يحتاج إليها ليتراجع قبل فوات الأوان و يكفر عن جريمته .. ربما شعوره بالمسئولية نحو ابنه يجعله يعيد التفكير في حياته

و علاقاته و يتخلص مما يربط بينه و بين هيلين و يسلم نفسه .. إذا أصبحت لديه نية صادقة في التوبة و التكفير يمكن أن يساعد مجدي في إحباك الفخ حول هيلين و يفعل ما عجزت هي عن فعله و عندها ستكون أمامه فرصة يكفلها له القانون في النجاة من العقوبة .. لا تضمن أنه لن يتم سجنه لكن على الأقل لن يواجه عقوبة بالإعدام و بالتأكيد سيقدر القضاة عودته عن جريمته و مشاركته في الإيقاع برأس الأفعى هيلين .. بلى .. سليم يجب أن يعلم أن له ابناً قبل فوات الأوان لكنها لن تقول له حرفاً واحداً أكثر من هذا و الأمر إليه .. يمكنه إنقاذ نفسه و مستقبل ابنه إذا أراد أو يمكنه أن يسير في نفس الطريق الذي سيودي به إلى التهلكة .. القرار قراره و هو صاحب الاختيار و ستفعل ما يمليه عليها ضميرها و تطالبها به أمومتها بدون أن

تفشي سراً اطلعت عليه بحكم وظيفتها و ليس من حق سليم أن يعلمه منها .

فوجئ سليم عندما أخبرته الخادمة بأن هناك فتاة تدعى عايدة تنتظره في ردهة الشقة ؛ خرج إليها و هو لا يصدق أن عايدة قد أتت بنفسها إلى بيته .. و لما ؟ .. وكيف تفعل هذا بعد أن تركته آخر مرة بدون حتى أن ترد عليه التحية .

كانت عايدة تتأمل المكان حولها عندما دخل سليم إليها و هو مقطب الجبين ؛ كانت تتوقع أن يطردها فقد بدا الاستياء واضحاً في عينيه لكنه لم يفعل .. هتفت في ارتباك :

- وجدت هذا العنوان مدوناً في وثيقتي الزواج و الطلاق على أنه محل إقامتك من واقع بطاقة الرقم القومي لكنني لم أكن واثقة من أنني سأجدك هنا .. أريد أن أتكلم معك .

هتف سليم في برود :

- عجباً .. لم يكن هذا ما تريدينه منذ يومين .. من الواضح أن تغيير رأيك عادة لديكِ حتى لو لم يكن له أسباب معروفة .

أطرقت عايدة برأسها ؛ فكرت في أنها ربما أخطأت في المجيء إليه لكنها لا تستطيع أن تتراجع الآن .. و سيسمع سليم ما تريد أن تقوله حتى لو لم يكن يرغب في سماعه .. همست عايدة :

- كلانا لا يرغب في وجودي هنا يا سليم لا أنت فحسب .. و لم أكن لآتي إلى هنا لو لم أكن مضطرة .. لديّ ما يجب أن أخبرك به و عليك أن تسمعني .

جلس سليم و وضع ساقاً فوق أخرى و هتف في لامبالاة :

- سأسمعك .. لكن أياً ما كان ما ترغبين في قوله فقوليه بسرعة لأنني ليس لديّ

وقت لإضاعته معكِ .. لديّ موعد بعد ساعة و لا أريد أن أتأخر عليه و أنتِ تعرفين زحام الطرق .

الأسلوب الذي يحدثها به و النظرة الباردة في عينيه كانا يفتتان عزمها لكنها استجمعت عزيمتها و هي تهتف :

- أنا حامل .

ظهرت الصدمة على وجه سليم ؛ بدا و كأن هذا آخر ما ينتظر سماعه منها ؛ و ظل صامتاً للحظات قبل أن ينهض فجأة و هو يهتف :

- آسف يا مدام .. يجب أن أذهب الآن حتى لا أتأخر على موعدي و لا أظن أن هناك المزيد ليقال بيننا .. أنتِ حامل .. جيد .. ما الذي تريدينه مني الآن ؟ .. لديكِ وثيقة زواج و أنا لن أعترض على نسب الطفل لي .. نحن جميعاً في غنىً عن إثارة فضيحة الآن .. لكن فيما بيننا

.. عندما يتزوج الرجل امرأة شريفة جداً مثلك و هو لا يتذكر حتى أنه قد لمسها من الأساس ؛ كيف يصدق أنها قد حملت منه و ليس مصادفةً من أي رجلٍ آخر ؟

الفصل الثانى عشر

شعرت عايدة بأن سليم قد لطمها على قلبها بقسوة جعلته يخر صريعاً بين ضلوعها ؛ لوح والداها بهذا الاتهام في وجهها من قبل و كان هذا مؤلماً لكن أن تسمع نفس هذا الاتهام منه كان موجعاً إلى حد الموت .. لم يكن لديها ما تقوله لتدافع عن نفسها .. و لم تستطع أن تصرخ في وجهه بأنه يظلمها و يظلم ابنها .. نهضت و هي تشعر بأن الدنيا قد أظلمت في وجهها و قبل أن تتحرك خطوة واحدة كانت تسقط على الأرض فاقدة الوعي .

انتفض قلب سليم بين ضلوعه و هو يندفع نحوها ويضمها إلى صدره ؛ حملها إلى أقرب مستشفى و هو يشعر بأنه قد ذبحها بقسوة و ذبح قلبه معها .. لكنها هي السبب .. بلى هي السبب .. هي التي خانته و أهانته و جرحته

و لم تقل و لو كلمة واحدة تدفع بها عن نفسها و عنه المذلة و المهانة .

عندما استعادت عايدة وعيها في المستشفى كانت منهارة ؛ فانفجرت باكية و طردته من المستشفى ؛ لم تكن تريد أن تراه أو أن تسمعه ؛ يكفيها ما سمعته منه و لن تتحمل أن تسمع المزيد ..

غادر سليم المستشفى و هو يتخبط في عواطفه .. لا يريد أن يتركها و هي في هذه الحالة لأنه يعلم بأنها وحيدة و لا أحد معها و تحتاج إليه و لا يستطيع أن يظل معها و هو لا يستطيع أن يغفر لها جرحها له .. الخيانة موجعة .. خاصةً إذا أتت من المرأة الوحيدة التي أحبها بصدق و شعر بأنها هي بمفردها من بين نساء العالم تكفيه و عنهن جميعاً تغنيه و كان مستعداً لأن يشاركها حياته و يخلص لها إلى آخر عمره .

في الصباح التالي كان لدى سليم رحلة إلى ايطاليا لكنه لم يستطع أن يسافر قبل أن يذهب إلى المستشفى و يطمئن على عايدة ؛ لم يكن سيطلب رؤيتها بل سيكتفي بأن يتكلم مع طبيبها ليعرف ما هي حالتها بالضبط ؛ ما إن قابل الطبيب حتى بادره الرجل بالقول :

- أتيت في الوقت المناسب تماماً يا كابتن .. المريضة التي أحضرتها بالأمس عنيدة جداً و لا أعرف كيف أتعامل معها .

هتف سليم في قلق :

- هل حالتها سيئة لهذا الحد ؟

هتف الطبيب في حزم :

- أعصابها على وشك الانهيار و الجنين مات في رحمها بالفعل و أصبحت عرضة لتسمم الحمل لو لم تخضع للإجهاض فوراً .. حاولت أن أشرح لها المخاطر التي تعرض حياتها لها لكنها

ترفض الخضوع للجراحة .. نحتاج إلى زوجها أو أي شخص من أهلها ليوقع على الأوراق حتى يمكنني إدخالها إلى غرفة العمليات .

وقع سليم على الأوراق و اتصل على الشركة و طلب أن يحل طيار آخر مكانه ؛ كان يعرف أهمية سفره إلى ايطاليا لكنه لم يستطع أن يترك عايدة قبل أن يطمئن عليها .. فكر كثيراً في كل تصرفاتها .. يرى تناقضاً غريباً لا يفهمه و لا يستطيع تفسيره .. لما تصر عايدة على الاحتفاظ بالجنين الذي لن يسبب لها وجوده سوى تعقيدات لا داعٍ لها ؟ .. و لماذا تهرب منه تارة و تبحثُ عنه تارةً أخرى ؟ .. الفتاة التي كانت معه في ايطاليا كانت مغرمة به رغم أنها كانت تحاول مقاومة عواطفها دون جدوى فلما سمحت بأن ينهار زواجهما

بهذه السرعة دون أن تحاول الدفاع عن نفسها و لو بكلمة واحدة ؟ .. لما ؟

وضع سليم مقعداً بجوار فراش عايدة وظل يتأملها ؛ كانت قد خرجت من غرفة العمليات لتوها حتى أن مفعول المخدر لم يكن قد انتهى بعد حتى أنها كانت تهذي بكلمات غير مفهومة قبل أن يقترب سليم منها ليسمع ما تهمس به :

- ابعد يا سليم .. ابعد .. مجدي .. مجدي .

قطب سليم جبينه و هتف في حدة :

- من مجدي يا عايدة ؟ .. من مجدي ؟

ظلت عايدة تردد اسم مجدي حتى أن وجه سليم قد احتقن بشدة قبل أن يهب واقفاً و يندفع مغادراً الغرفة و الغضب يتدفق في عروقه .. لماذا يستسلم لعواطفه الحمقاء نحوها بعد كل ما حدث ؟ .. لا زال هناك رجلٌ يشاركه

بها حتى في هذيانها فماذا ينتظر ؟ .. يجب أن يقتلع حب عايدة من جذوره حتى لو انتزع قلبه من بين ضلوعه و أحرقه .

كان مجدي يتابع أخبار عايدة رغم أنها لم تكن تجيب على اتصالاته و بينما غادر سليم المستشفى كان مجدي يتسلل إلى غرفة عايدة التي بالكاد كانت تستعيد وعيها .. جلس على المقعد بجوار الفراش و عندما فتحت عايدة عيونها همس :

- أنا آسف يا عايدة .. أعرف أنكِ تحملتِ فوق طاقتك منذ اقتحمت حياتك و ورطتك في هذه القضية .. سامحيني .

همست عايدة في ضعف :

- خسرت سليم .. و خسرت ابني .. و حتى أسرتي .. لكن هذا ليس ذنبك .. قلبي هو الذي ورطني في دوامة ليس

لها أول من آخر .. فشلت في حياتي و فشلت في عملي و كدت أن أفسد قضيتك .. أنا الآسفة يا مجدي .. خيبت أملك بي كما خابت آمالي في نفسي ولم أستطع أن أكون الضابط الكفء الذي تستطيع أن تعتمد عليه .

هتف مجدي في صدق :

- بالعكس يا عايدة .. أديتِ دورك في المهمة و وضعتِ يدنا على حقائق مذهلة لم نكن سنكتشفها بدونك .. المؤامرة التي تحاك ضدنا أكبر بكثير من مجرد الاستيلاء على أسرارنا بل هي تدمير للدولة من الداخل و لو أنني لست في حل لأن أشرح لكِ تفاصيل ما توصلنا إليه الآن .. عموماً .. أنا هنا لأطمئن عليكِ و أبلغك بشكل رسمي بأن قرار نقلك إلى مصلحة السجون قد تم إلغاؤه فأنتِ الآن واحدة من أبناء الجهاز و ننتظر أن تنضمي إلينا بمجرد أن

تستردي عافيتك و تنتهي إجازتك المرضية .

نهض مجدي و هم بالمغادرة عندما همست عايدة في ضعف :

- سؤال واحد يا مجدي قبل أن تذهب لو سمحت .. هل .. هل تأكدت شكوكك بالنسبة إلى سليم ؟ .. هل عثرت على دليل ضده ؟

زفر مجدي في حرارة قبل أن يهتف في تردد :

- آسف يا عايدة .. كنت أتمنى لو كان بريئاً و لكن .. سليم متورط مع هيلين بالفعل .. المسألة تجاوزت نطاق التجسس و نقل المعلومات و دخلت في مجال آخر لا يقل خطورة بل و ربما يزيد .. و سليم ضلع أساسي في هذه الشبكة بكل تأكيد .

خرج مجدي من غرفة عايدة و هو يشعر بأنه قد تركها محطمة ؛ ذهب إلى مكتبه في مبنى المخابرات العامة و هو يشعر بأن جبلاً كبيراً على كتفيه .. يتألم كثيراً من أجل عايدة و يتمنى لو كان في يده ما يخفف به عنها ما هي فيه لكنه لم يكن في يده ما يفعله .. ليتها كانت تستطيع أن تنسَ سليم و الجرح الغائر الذي تركه في قلبها و تستأنف حياتها من جديد .. يريد أن يرَ فيها نفس الفتاة شديدة العزم التي قابلها أول مرة لكنه يعرف أنه حتى لو عادت عايدة إلى ممارسة حياتها و عملها كالسابق فهو بالذات لن يكون له فرصة معها .. فسيظل يذكرها بكل ما تكبدته من عذاب و خسائر .

ما إن جلس مجدي حتى دخل إليه زميله عصام و وضع ملفاً فوق مكتبه و هو يهتف :

- اتصلنا بجهاز أمن الدولة و مكافحة تهريب الآثار لننسق معهما كما اتفقنا و أتى ردهما أكثر غرابة مما تتخيل .

هتف مجدي في اهتمام :

- كيف ؟

جلس عصام و هو يهتف :

- اتضح أن ما توصلنا إليه بخصوص شبكة تهريب الآثار التي تتعامل معها هيلين هنا كان معروفاً لديهم .. سقط بعض أفراد خلية إرهابية منذ بضعة أشهر في يد أمن الدولة الذين رصدوا بعض اتصالات بين أفراد الخلية و شخص ذو مركز حساس في الدولة كانت تحوم حوله بضع شبهات عن أن له باعاً في تهريب الآثار .. عندما تتبعوا هذا الخيط اتضح لهم أن هناك تنظيماً كبيراً يربط بين تهريب آثارنا و بيعها في الخارج مع استغلال عائد

البيع في تمويل بعض الأنشطة الإرهابية هنا .. خيوط اللعبة كلها كانت تنتهي بين أصابع هيلين لانجلي مما أثار شكوكهم في أنها الرأس المدبر للعملية كلها .

هتف مجدي في استنكار :

- و مسألة بهذه الخطورة لما لم يبلغونا بها ؟ .. و كيف لم يتم التنسيق معنا ؟

هتف عصام بسرعة :

- و ما يدريهم أن هيلين هي نفسها راشيل جدعون ضابط الموساد الاسرائيلي ؟ .. قبل أن نجري نحن الاتصال بهم كانت هيلين بالنسبة إليهم مجرد سيدة أعمال أمريكية و هم وضعوا خطة للإيقاع بها بالتنسيق مع الانتربول .. لكن الآن بالطبع سنبدأ التنسيق معهم فوراً حتى ننجز المسألة على الوجه الأمثل .. الشيء الأكثر غرابة و الذي لن تتخيله هو أن لهم عميلاً بالفعل أصبح قريباً

جداً من هيلين و سنبدأ الاتصال به عن طريقهم حتى نتواصل معه و نرى بماذا سيفيدنا وجوده في العملية .. بصراحة يا مجدي .. لن تتخيل أبداً من هو هذا العميل .

اتسعت عيون مجدي و اسماً واحداً يقفز إلى ذهنه قبل أن يختطف الملف و يفتحه و يرى أمامه صورة الرجل الذي يملأ التفكير فيه ذهنه .. سليم الساعاتي .

الفصل الثالث عشر

غادر سليم المستشفى وهو يغلي ؛ لم يعد إلى بيته بل ذهب إلى المطار .. كان يعرف أن رحلته قد انطلقت بالفعل مع طيارٍ آخر لكنه لم يرغب في الذهاب إلى أي مكانٍ آخر .. جلس في مقهى المطار و هو يفكر في عايدة .. رآها هنا أول مرة و هي تشرب القهوة و تأكل البسكويت .. فينوس تفيض بالجمال و الجاذبية و تحبسهما في زي الشرطة و هي تتظاهر بالجدية و الخشونة .. لا يعرف ما الذي جذبه إليها هكذا بشدة لكنه يعرف أنه لم يعد يرَ أية امرأةٍ سواها حتى أنه كان صادقاً عندما أخبرها بأنه يرغب في الاستقرار معها لأن هذا ما كان يشعر به بالفعل و من قبل أن يصارحها به بكثير .

علاقته مع عايدة بدأت بسرعة و تطورت بسرعة وانتهت بأسرع مما بدأت لكنه لا

يستطيع أن ينساها .. لا يعرف كيف يمحوها من حياته و ينزعها من قلبه و هي تجري في عروقه مجرى الدم لكنه يجب أن يفعل .. ظل لعدة ساعات يشرب القهوة قدحاً بعد أخرى و هو غارق في تفكيرٍ عميق قبل أن يقترب منه عصام و يجلس على المقعد الذي أمامه و هو يلقي عليه التحية .. و قبل أن يستنكر سليم أن يقتحم عليه شخص غريب وحدته و يجلس إلى طاولته بدون استئذان رن جرس هاتفه فهتف عصام في هدوء :

- رد يا سليم .. هذا هو ضابط أمن الدولة الذي تعمل معه و يريد أن يبلغك بأنك من الآن ستتعامل معنا نحن و أنك يجب أن تذهب معي الآن في هدوء و بدون شوشرة كما لو كنا أصدقاء أو معرفة قديمة .

تلقى سليم المكالمة التي لم تزد عما قاله عصام ثم أعاد الهاتف إلى جيب سترته قبل أن يهتف :

- هل يمكن أن أعرف أولاً مع من سأتعامل بالضبط ؟ .. الانتربول ؟

هتف عصام في حسم :

- بل المخابرات العامة المصرية .. و الضابط المسئول عن العملية كلها ينتظرك الآن في مكتبه و سأصحبك إليه بنفسي .

غادر سليم المطار في سيارته و قد جلس عصام بجواره ؛ قاد سيارته في صمت لأن عصام أعطاه عنوان الشركة التي قابلت فيها عايدة مجدي من قبل ثم لاذ بالسكوت و كأنه لم يعد لديه ما يضيفه ..

عندما ركن سليم السيارة أمام الشركة انصرف عصام بينما صعد سليم إلى الشركة وحده .. كانت نفس السكرتيرة اللطيفة في انتظاره و أشارت إلى الباب

الذي في آخر الرواق فاتجه إليه سليم و طرقه طرقة واحدة قبل أن يفتحه و يدخل إلى المكتب .

قطب سليم جبينه بشدة عندما رأى مجدي و اكفهر وجهه ؛ رآه مرة واحدة من قبل لكنه لا يستطيع أن ينساه و لا بعد ألف عام ..

مد مجدي يده إلى سليم ليصافحه لكن سليم تجاهل اليد الممدودة إليه و هو يحدق في مجدي ؛ كان يكبح أعصابه بصعوبة حتى لا يلكمه فابتسم مجدي و سحب يده و هو يهتف :

- لا أستطيع أن ألومك .. بيننا سابق معرفة لا تشفع لي عندك كما أنني تسببت بدون قصد في انهيار زواجك .. هناك الكثير من الأمور لم أستطع أن أشرحها لك من قبل يا كابتن لكنني يجب أن أفعل الآن .. على الأقل لأبرئ

زوجة تسببت في تشويه سمعتها عن غير عمد و عجزت عن الدفاع عنها أمامك في الوقت المناسب .. اجلس يا سليم .. اجلس و اسمعني لو سمحت .

هتف سليم في حدة :

- من أنت بالضبط ؟

جلس مجدي خلف مكتبه و هو يهتف :

- المقدم / مجدي مراد .. مخابرات عامة .. و الضابط المسئول عن ملف راشيل جدعون و التي تعرفها أنت باسم / هيلين لانجلي .

قطب سليم جبينه وهتف في حيرة :

- هيلين ؟ .. ما شأنك أنت بها ؟ .. و الأهم .. ما دخل عايدة في هذا كله ؟ ..

ثم أردف في حدة :

- ما أريد أن أفهمه الآن هو هل أنت على علاقة مع زوجتي أم لا ؟ .

هتف مجدي في هدوء:

- بيننا علاقة بالقطع لكنها ليست كما في ذهنك .. عايدة ضابط كفء و قد انتقلت حالياً للعمل معنا في الجهاز .. كما أنها كانت تعمل معي في قضية هيلين و سافرت إلى ايطاليا بأوامر مني .. هل يمكنك أن تجلس الآن ؟ .. هناك سوء فهم كبير في المسألة كلها و أريد أن أوضحه لك .

أشعل مجدي سيجارة ونفث دخانها ببطء قبل أن يهتف :

- منذ أقل من عام رصدنا وجود راشيل جدعون في روما .. كانت تتحرك بحرية من خلال شركة السياحة و أنشأت علاقات مع شباب من جنسيات مختلفة أغلبهم كانوا من الشبان

المصريين الذين دخلوا إلى روما متسللين بدون تأشيرة و لا عقد عمل .. كنا نضع أعيننا عليها حتى رصدنا علاقتها بك .. كان من المستحيل أن نسمح لها بتجنيد جاسوس على هذه الدرجة من الخطورة لذا كان يجب أن نتدخل فوراً .

بهت وجه سليم و هتف في استنكار :

- جاسوس ؟ .. من تقصد ؟ .. لا تقل أنك تتحدث عني .

هتف مجدي في حرج :

- آسف يا سليم و لكن كل الظواهر كانت ضدك .. علاقتك المشبوهة مع هيلين جعلتني أتخيل أنها تحاول تجنيدك أو أنها نجحت في هذا فعلاً .. خاصةً عندما استمرت هذه العلاقة رغم ظهور عايدة في حياتك ثم زواجك منها فيما بعد .

هتف سليم في حدة :

- علاقتي المشبوهة مع هيلين كانت بأوامر من أمن الدولة و تحت إشرافهم .. هيلين مهربة .. أنا الذي أبلغت عنها بنفسي عندما شعرت بأنها تحاول استغلالي في عمليات تهريب يقوم بها بعض أفراد الأفواج السياحية التي ترسلها إلى مصر .. و ...

بتر سليم حديثه فجأة و ظهرت الصدمة على وجهه قبل أن يردف :

- أتعني أن عايدة تظن أنني جاسوس ؟ .. هل .. هل كان كل ما بيننا مجرد خطة للإيقاع بي ؟ .. مستحيل .

هتف مجدي بسرعة :

- لا تسيء الحكم عليها مرة أخرى يا سليم ؛ ظلمتها مرة من قبل و هذا يكفي .. مهمة عايدة كانت تقتصر على السفر إلى ايطاليا و استغلال مطاردتك لها في

أن تتعرف إلى هيلين عن طريقك و تنتهز الفرصة لتزرع أجهزة دقيقة و حساسة جداً و من الصعب كشفها في شركة هيلين و بيتها .. المشكلة هي أن عواطفها ورطتها معك و عقدت الأمور و جعلتها تعود إلى القاهرة بسرعة و قبل أن تنجز باقي المهمة .. عايدة تزوجت رجلاً تعتقد أنه جاسوس على وشك أن يفتضح أمره و حبها الجنوني لك هو الذي جعلها تفعل هذا و تغامر بحياتها و مستقبلها معك .. التي تزوجتك هي المرأة التي أحبتك يا سليم لا ضابط الشرطة و للأسف دفعت و لا زالت تدفع ثمناً غالياً في هذا .

صمت سليم طويلاً و هو يفكر في كل كلمة قد قالها مجدي و يستعيد ذكرى كل لحظة جمعت بينه و بين عايدة .. على الأقل الآن بات يعرف ما العيب الكبير الذي به و جعلها تشعر بالندم على

زواجها منه .. يعرف أن الصراع بين الحب و الواجب لا يكون سهلاً لأنه مرّ بهذا من قبل عندما جذبه قلبه نحو عايدة و أجبره واجبه على أن يستمر في علاقته مع هيلين ويستطيع أن يدرك كم تعذبت و كم تتألم لكنه لا يعرف كيف ينتشلها من هذا العذاب و يعوض عليها كل هذا الألم .. خاصةً الآن بعد أن انقطع كل ما كان يربط بينهما حتى الجنين الذي كانت ترغب في الاحتفاظ به .

التفت سليم نحو مجدي و هتف فجأة :

- أنتم تعرفون الآن حقيقة علاقتي مع هيلين و لكن .. ماذا عن عايدة ؟ .. هل عرفت الحقيقة ؟

هز مجدي رأسه نفياً و هتف :

- لا .. ليس بعد .. يمكنك أن تخبرها بالحقيقة بنفسك بعد عودتنا من السفر ..

هناك رحلة طيران إلى روما بعد ثلاث ساعات ؛ دبرنا الأمر مع الشركة لتكون أنت المسئول عنها و سأكون موجوداً بين الركاب .. بمجرد وصولنا إلى روما سنبدأ في تنفيذ ضربتنا فوراً .

هتف سليم في توتر :

- ثلاث ساعات .. و لكن .. يجب أن أتحدث مع عايدة و ...

قاطعه مجدي هاتفاً في حزم :

- لا وقت لدينا .. سأشرح لك المطلوب منك بسرعة و نحن في طريقنا إلى المطار .

الفصل الرابع عشر

بعد يومين كانت عايدة بالكاد تستطيع أن تقف على قدميها وتغادر الفراش ؛ اتصلت على مربيتها و أعطتها عنوان المستشفى و طلبت منها أن تحضر لها ثياباً نظيفة فأتت المرأة بسرعة و هي مذعورة تريد أن تطمئن عليها .. حاولت عايدة تطمينها لكن المربية هتفت :

- لا .. لا تقولي أنكِ بخير لأنكِ لستِ كذلك ؛ أنت لا ترين نفسك يا عايدة .. تبدين شاحبة كالموتى و بقاؤك في المستشفى سيجعلك أكثر شحوباً .. يجب أن تعودي معي إلى البيت لأغذيكِ جيداً و أرعاكِ بنفسي .

همست عايدة في ضعف :

- ليس الآن يا دادا .. ربما غداً يسمح الطبيب بخروجي .. ماذا عن والديّ ؟ .. ألم يسألا عني ؟

هتفت المربية في قلق :

- اتصل سيادة السفير بالأمس و أخبرته بأنكِ لستِ موجودة .. اضطررت أن أقول له أنكِ خرجتِ منذ أول أمس و لم تعودي .. كنت قلقة عليكِ كثيراً يا عايدة و لم أجد أمامي غيره لأستنجد به .. لماذا لم تتصلي قبل هذا ؟ .. كدت أن أفقد عقلي قلقاً عليكِ .

اتصلت عايدة على والدها فوجدت هاتفه مغلقاً كالعادة ؛ فكرت في أن لديه اجتماعاً في مشارق الأرض أو مغاربها لكنها فوجئت به يأتي إلى المستشفى و أمها معه .. كانا قلقين عليها و الغريب هو أنهما كانا يعلمان بأنها فقدت الجنين حتى من قبل أن تخبرهما .. سألتهما عايدة كيف علما بالأمر فهتف والدها :

- سليم اتصل بي .. قال أنكِ فقدتِ الحمل و أن حالتك سيئة جداً و تحتاجين إلى

وجودنا معكِ .. كما قال بأنه اضطر للسفر لكنه يرغب في مقابلتي عند عودته .. يبدو أنه يفكر في ردك إلى عصمته .. هل ناقشتما الأمر ؟

هزت عايدة رأسها نفياً ببطء و همست في مرارة :

- لا .. و لن نفعل .. سليم صفحة مزقتها من حياتي و مزقت حياتي معها و انتهى الأمر .. أرجوك يا أبي .. لا أريد أن أتحدث عنه مرة أخرى .

هتفت سعاد بسرعة :

- فليكن .. هذا الزواج لم يجلب سوى الشر فدعونا منه الآن و اسمعي آخر خبر يا عايدة .. تم نقلي إلى منصب مدير إدارة .. هذا يعني أنني سأستقر في مصر نهائياً .. أنا و أبوكِ تعبنا من السفر و أنتِ أيضاً تعبت من البعد عنا

.. نريد أن نلم شملنا و نبقى معاً قبل فوات الأوان .

فكرت عايدة في أن والديها قد انتبها أخيراً إلى أنها تحتاج إلى وجودهما معها لكن من قال أن هذا لم يأتِ بعد فوات الأوان .. هي لم تعد نفس الفتاة التي كانا يعرفانها و مرارة خسارتها قد تسمم حياتها إلى الأبد .

فكرت في سليم .. تعلم أنه ظل في المستشفى حتى خضعت للجراحة و غادرت غرفة العمليات لكنه انصرف قبل أن تراه ؛ خسرت الابن الذي كان سيربطها به و مع هذا لم يكن لديه و لو كلمة واحدة ليواسيها بها .. تعرف أن ما بينهما قد تمزق ولا يمكن رأبه و أن مجدي سينتهز أول فرصة ليسحقه و يقضي عليه و لا تدري لما لا زال قلبها يبكي لأجله .. إلى متى سيظل قلبها

الأحمق أسيراً لدى رجل يعرف أنه لا يستحق كل هذا الحب ؟ .

خرجت عايدة من المستشفى و عادت إلى البيت .. البيت الذي أصبح به أمٌ و أبٌ ربما لأول مرة منذ سنين .. أغلقت عليها باب غرفتها و فرضت على نفسها عزلة لم يعرف والديها كيف يخترقانها قبل أن يقترحا عليها الخروج من البيت والذهاب إلى أي مكان لتغيير الجو .. حتى أنهما اقترحا عليها السفر إلى شاليه الاسكندرية أو إلى الخارج .

لم تكن عايدة ترغب في الذهاب إلى أي مكان كما لم تكن ترغب في الخروج من غرفتها من الأساس لكنها تحت إلحاحهما قررت أن تذهب إلى نادي الشرطة كما كانت تفعل من قبل في أيام الإجازات ..

جلست عايدة إلى الطاولة و طلبت القهوة و البسكويت لا لأنها جائعة و لكن لأن هذا يذكرها به .. تخيلت للحظة أنها ستجده أمامها ليجلس إلى الطاولة بدون استئذان كالعادة و يأكل البسكويت .

لمعت الدموع في عيونها و هي تتأمله و هو يأكل قطعة قبل أن يهتف :

- لن تتخيلي كم أنا جائع .. أتيت من المطار إلى هنا مباشرةً .. ما رأيك في دعوة للعشاء على حساب دون جوان مثلي ؟

انهمرت دمعة على وجهها و ظلت صامتة ؛ لن تكلف نفسها عناء الإجابة لأنها لا تريد أن يقول الناس أنها مجنونة و تتكلم مع نفسها .. تعرف أن هذا مجرد طيف ولا يمكن أن يكون سليم .. سليم الذي حطمها حبه يكرهها

و يحتقرها و لا يمكن أن يضحك في وجهها كما كان يفعل بعد الآن .

انتفضت عندما أمسك سليم كفها و قبلها و هو يهمس :

- السكوت علامة الرضا يا دودي .. دعينا نذهب من هنا الآن .

سحبت كفها من يده و همست في لوعة :

- هل أنت هنا بالفعل ؟ .. ء أنا لا أتخيل ؟ .

ابتسم سليم و هتف :

- لا يا حبيبتي .. لا تتخيلين .. أنا هنا يا عايدة .. سليم بلحمه و دمه و حبه و ندمه على كل لحظة جرحك بها .. سامحيني .

انهمرت دموعها و هي تهتف في لوعة :

- لا أفهم .. كنت تحتقرني يا سليم .. أنت اتهمتني .. تنكرت لحملي .. طلقتني دون أن تسمع مني كلمة واحدة أدافع بها عن نفسي و أنا .. أنا ليس لديّ ما أقوله لأدافع عن نفسي .. أنا .. أنا لا أريدك في حياتي بعد الآن .. ليتني أموت لو كان الموت هو من سيحررني من حبك .

نهضت عايدة و همت بمغادرة المكان لكنها رأت مجدي و هو يقترب منهما .. التفتت إلى سليم الذي وقف بدوره ثم عادت تنظر إلى مجدي و هي تفكر في أنه قد أتت اللحظة التي ترعبها .. مجدي أصبح لديه دليلٌ على خيانة سليم و أتى للقبض عليه .. دليل مهدت هي بنفسها الطريق إليه .. هي التي وضعت كلمة النهاية في حياة الرجل الوحيد الذي

أحبته و عليها أن ترَ بعينيها مجدي و هو ينتزعه من حضنها و ينهي حياته و مستقبله .. عادت عايدة تنظر إلى سليم الذي كان ينظر إلى دموعها و وجهها الشاحب في لوعة قبل أن تسقط بين ذراعيه منهارة .

ظل جسد عايدة ينتفض و هي تهذي ؛ لا يملأ ذهنها سوى صورة سليم و مجدي يضع حبل المشنقة حول رقبته قبل أن تصرخ في لوعة .. هبت جالسة في الفراش فضمها سليم إلى صدره و هو يهتف :

- اهدئي يا حبيبتي .. اهدئي أرجوكِ .. إلى متى ستظلين على هذا الحال يا عايدة ؟

حقنها الطبيب بالمهدئ و هي لا تزال بين ذراعي سليم الذي قبل جبينها و هو يهمس :

- سامحيني يا حبيبتي .. أنا لم أكن أفهم كم أجرحك .. قسوت عليكِ وحملتك فوق طاقتك بإرادتي ورغماً عني .. أفيقي يا عايدة و عودي إليّ .. امنحيني الفرصة لأعوضك عن كل ما قاسيتيه يا دودي .

مرت عدة أيام قبل أن تتماسك عايدة وتستعيد وعيها ؛ و كان سليم طوال الوقت بجوارها و لم يتركها و لا للحظة واحدة ؛ حاول والدها أن يطرده من المستشفى لأنه كان يرَ أنه السبب في تردي حالة ابنته لهذا الحد لكن سليم رفض أن يتحرك من مكانه و ظل مرابطاً في غرفتها .

أتى مجدي لزيارة عايدة .. كانت بالكاد قد استعادت وعيها لكنها كانت مستعدة لسماعه .. هتف مجدي في خجل :

- سامحيني يا عايدة .. تسرعي في الحكم على سليم وسوء تقديري لملابسات الموقف هو السبب في كل ما تعرضتِ له .. لكن نحمد الله على أن سليم برئ من كل شكوكي و ليس هذا فحسب .. زوجك بطل حقيقي يا عايدة .. ساعدنا في اصطياد هيلين و إدخالها إلى مصر لمحاكمتها عن كل التهم المنسوبة إليها .. سيناريو التخريب الاقتصادي و الأمني الذي كانت تديره هنا انكشف و سقط معه التنظيم بأكمله و لدينا أدلة واضحة على الدور الذي لعبته به .. أدلة دامغة ستدين حكومة اسرائيل و تكشف ألاعيبها الخسيسة أمام العالم بأسره .. كلاكما لعب دوراً في هذا يجب أن تفخرا به و في المستقبل سيفخر به أولادكما أيضاً .

انسحب مجدي من الغرفة و تركها مع سليم الذي جلس على طرف فراشها و هو يهتف :

- ألا زلتِ لا تريدين أن يكون لي مكان في حياتك ؟ .. لأنكِ حياتي كلها يا عايدة و لا يمكن أن أعرف طعم السعادة بدونك .

ارتمت عايدة بين ذراعيه و هي تفكر في أن كل الجدران التي كانت تقف بينها و بين سليم و تهدد مستقبلها معه قد انهارت فجأة .. سليم الذي أحبته و ستظل تحبه .. حتى آخر العمر .